1



البُستان

مجموعة قصصيَّة بعنوان

رواية خلاعيّة

إبراهيم محمد

البُسْتان



روايات تبحث له عن ملجأ

مجموعة قصصية بعنوان
رواية خلاعيّة

البُسْتان
روايات تبحث لها عن ملجأ

تأليف
إبراهيم محمد

تصميم وإخراج
إبراهيم محمد

للتواصل مع المؤلف
Wordsonsnowtablet
Gmail | Facebook

تنبيه

- هذا المؤَلَّف من قرِيحة مؤلِّفه، ولم يتم نقله أو اقتباَسه من أي مصدر آخر.
- أي تشابه بين الرواية وأحداث وشخصيات واقعية هو محض مصادفة.
- لم تخضع هذه الرواية للتدقيق والتصحيح اللغوي.
- تم إنتاج الصور باستخدام برامج الذكاء الاصطناعي، وباستخدام كلمات عامة دون وصف دقيق.

البُسْتان



روايات تبحث لها عن ملجأ

البُسْتان

روايات تبحث لها عن ملجأ

1

رواية خلاعيّة

تأليف

إبراهيم محمد

للتواصل مع المؤلف

wordsonsnowtablet@gmail.com

مقدمة

رُبَّما اسم وشِعار هذه السلسلة يُغني عن مقدمتها "البُسْتان : روايات تبحث لها عن ملجأ"

هذه خواطر وقصص وروايات متنوعة ومختلفة، لم أجد لها مكانًا سوى جمعها معًا في كتاب واحد، لأبدأ به هذه السلسلة.

وليس شرطًا أن يكون كل كتاب في هذه السلسلة على هذا النمط، رُبَّما تجد آخرًا على هذا النمط أو تجده قصة طويلة أو تجده مجموعة قصص تشترك في تصنيف واحد، قصص مغامرات أو إثارة أو خيال علمي أو غيرها.

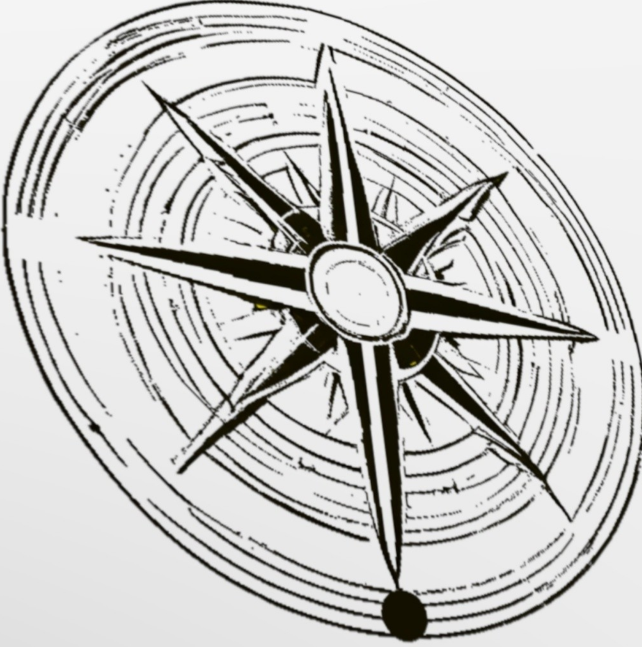
المهم في هذه السلسلة أن تجد ما يرضيك ويرضيني، أن تجد المُتعة والثّقافة والتَّسلية المُفيدة..

إبراهيم محمد

البُسْتان
1

حكايات عن الجنوب

1



هنا الجنوب

الوزير

قصة قصيرة

- سيادة الوزير مع احترامي لمعاليك، ولكن الأمر الذي تريده سوف يسبب ضجة كبيرة، وربما يثير سخرية المعارضين وتـهكم الناس، وقد يترتب على ذلك المساس بمقامكم الرفيع وشخصكم الشريف وهيبتكم المتأصلة.

استمع الوزير إلى مُساعِده وابتسامته لا تفارق وجهه الهادئ، وكيف لا وهو يتوقع ذلك من أقرب الناس إليه، فكيف بأفضل مُساعِديه وأكثرهم أخلاصًا، وهو يحترم ذلك ويفهمه لذلك رد على مُساعِده:

- هذا صحيح إذا عرضناه على الناس والعموم بالطريقة المباشرة التي تتصور أن الأمر سيتم به.

بصبر وتأني سأله مُساعِده:

- أي الطريقة التي سيُعرض بها الأمر، فإنه لن يخلو من النقد وجلب السخرية إلى شخصكم المحترم.

وأيضا بصبر وتمهل وحكمة قال الوزير:

- لن نكون من يفعل ذلك، بل سنبدوا مُكرهين على قبوله وتنفيذه.

حطَّ الاستغراب على وجه المُساعِد، ونطق لسانه متسائلا:

- و كيف هذا يا سيادة الوزير؟

طرب الوزير لهذا السؤال كأنه كان ينتظره، فأفتر ثغره مجيبًا:

- سيتكفل بهذا الأمر أحد أساتذة الجغرافيا العظام، وسيدلل على كلامه بالأدلة والبراهين، ومستدلا بالوثائق والتاريخ، وسيبدأ الأمر بورقة بحثية، ثم بمؤتمر لمناقشة الأمر، ثم إلى دعوة للتمسك بالحقائق والتاريخ، ثم سنؤسس حركة شبابية ترعى هذه الفكرة وتنادي بها، ثم سندفع الصحافة

للاهتمام بأمر هذه الحركة، وحين تهتم الصحافة بالأمر، سنجعل الأمر يتطور إلى مظاهرات واحتجاجات، ثم نجد أنفسنا مُرغمين على تلبية مطالب الجماهير، وبذلك نكون بعيدا عن كل سخرية واساءة، بل سنبدو كأننا نخدم العلم والمجتمع.

تأمل المُساعِد في حديث الوزير ثم بعد التأمل زاد تأملا، ولكنه خشي أن يزيد في التأمل، فتبدو إساءة أدب لمقام الوزير فقال:

- هذه ستكون رحلة طويلة يا سيادة الوزير.

- عامان على الأقل.

قالها الوزير بسرعة، فرد المُساعِد عليه بسرعة كأنَّهما يتسابقان:

- زاد الله مقامكم رفعة يا سيادة الوزير، ولكن فترة خدمتكم هي أربع سنوات، أنقضت واحدة وبقيت ثلاث، نسأل الله أن لا يحرم الوزارة منكم، ومن عظيم صنيعكم، ولكن قد يضنُّ الدهر علينا بكم، فلا نعلم أي شأن عظيم بلغتموه حين يتحقق ما تريده سيادتكم، فمن سيتابع الأمر حين تشغلكم العظائم عنه.

كلام جميل ونفاق ومداهنة، والوزير يعلم مقصد مُساعِده، أين سيكون هو إذا غادر منصبه قبل أن يتم هذا الأمر؟ ومن سيتابعه؟ لأجل ذلك قال:

- أينما كنت ستكون هذه القضية همّي الأكبر، وسأحرص على متابعتها حتى إنجازها.

مُساعِد الوزير والقلق على الوزير يغزو تفكيره:

- وماذا عن الأستاذ؟ هل يعلم تبعات هذا الأمر؟

قال الوزير وعقله يدبِّر الأمر:

- نعم وسيقوم به على الوجه الأفضل، خاصة ونحن سنقدم له الدعم والامتيازات، كما أنه يرى الأمر صحيحًا ومقبولًا من ناحية علمية وتاريخية، وهو من اقترح خطوات فرض الأمر على المجتمع والناس.

دخل مُساعِد الوزير في حالة إشفاق كامل على وزيره وتكلم:

- سيدي الوزير، لماذا يشغل هذا الأمر بالكم، وتعني به اهتماماتكم؟

ضاق الكرسي بالوزير الذي تكلم متوجعًا:

- أنت لا تعلم شيئا عن الجنوب، الجنوب كُتبت عليه المعاناة دائما، لماذا؟ لأنه الجنوب، أين المشاكل؟ في الجنوب، أين الحروب؟ في الجنوب، حروب في جنوب لبنان.. جنوب فلسطين.. جنوب السودان.. جنوب الفلبين.. مشاكل المهاجرين تأتي في جنوب أوروبا، في جنوب الولايات المتحدة الأمريكية، الأزمات في جنوب إفريقيا.. جنوب روسيا.. أمريكا الجنوبية، أينما وجدت مشكلة أو معاناة وُجد معها الجنوب.

مُساعِد الوزير وقد زاد إشفاقًا على إشفاق:

- ولكن الجنوب نسبي، نحن في جنوب المدينة التي تقع شمالنا، كما أن هناك جنوبًا لا يعاني بل في الرفاهية ينعم.

إجابة الوزير تُخبر أن الأمر شغل الوزير تماما وقد قلَّبه على جميع الوجوه:

- الجنوب الذي تعنيه هو الجنوب الجزئي، نسبة الجزء إلى الجزء، وحتى هذا الجنوب لا يخلو من المشاكل، ولكنني اتحدث عن الجنوب الكُلّي، نسبة الجزء إلى الكل، جنوب البلد، جنوب القارة، جنوب العالم.

مُساعِد الوزير وقد شعر أنه يعيش أيَّام عمله الأخيرة:

- وهل تعتقد أن مشروع سيادتكم بقلب الاتجاهات، وجعل الشمال جنوبًا والجنوب شمالًا سيحل مشكلات الجنوب؟

رفع الوزير كأس العصير الموضوع أمامه على مكتبه، ونظر إلى مُساعِده قائلا:

- نظرية الكأس تؤكد ذلك.

نظر مُساعِد الوزير إلى الكأس والبلاهة حاله:

- نظرية الكأس؟!

هز الوزير رأسه هز العليم ببواطن الأمور، وقال:

- انظر لهذا الكأس جيِّدًا، وتخيل الاتجاهات عليه، الشمال إلى الأعلى، والجنوب إلى أسفل، كما ترى فإن حُثالة العصير أسفله، والآن..

وأمسك بقنينة ماء وملأ الكأس حتى حافته، ثم وضع ورقة بيضاء، وبسرعة قلب الكأس وآمراً قال:

- انظر جيِّدًا..

لم يكن الفهْم حال مُساعِد الوزير، ولكنه نظر إلى الكأس، ورأى الحُثالة وهي تهبط إلى أسفل في الكأس المقلوب.

وسأله الوزير:

- هل فهمت؟

كلَّا لم يفهم، ووجهة نظر الوزير خاطئة تمامًا، ولكنه هزَّ رأسه تعبيرًا عن الفهم، فقال الوزير:

- أينما الجنوب تذهب المصائب والمشاكل والعقبات.

طبعًا أراد أن يخبر الوزير عن مسألة الجاذبية، لكنه وجد السكوت أكثر راحة، وعاد يودَّع ما تراه عيناه، ثم استجمع شتات نفْسه وتماهى مع الوزير بالقول:

-و.. ولكن كيف نوقن أنَّ المعاناة ستُرفع عن الجنوب؟ رُبَّما لا يتغير من الأمر شيئًا!

نفى الوزير برأسه كأنَّه يرغب في اقتلاعه من جذوره، قال:

-كلَّا، الواقع والتاريخ يؤكد أنَّ المعاناة ستُرفع عن الجنوب.

بحذر.. بحذر.. بحذر.. قال ممُساعِد الوزير:

- ولكن قلب الاتجاهات.. ألن يؤدي إلى انتقال ما يعانيه الجنوب إلى الشمال.

نهض الوزير بقوة صارخِا:

- إلى جهنم، إلى جهنم، إلى جهنم، ليذهب الشمال كله إلى جهنم، لقد عانى الجنوب بما فيه الكفاية، آن الآوان ليرتاح الجنوب ويعاني الشمال..

انتبه الوزير إلى خوف مُساعِده وإلى أن سلوكه ذهب برزانته وهيبته، وتدارك نفسه بسرعة، وعاد إلى مجلسه وهو يعيد لصوته هدوءه ورزانته وتابع كلامه:

- لا أقصد بهذا شرا أو أذى لأي كان، ولكن لننظر لها من باب تساوي الفرص، لقد أخذ الشمال فرصته وحان دور الجنوب.

ليته يستطيع أن يتكلم، ليته يستطيع أن يقول الحقيقة، الوزير قد جُنّ، ولكن مقامه لا يسمح له بذلك، ولكنه سأل:

- هل.. هل تظن أن فكرتك ستنجح؟

- وماذا سنخسر؟

قالها الوزير بهدوء شديد وهو ينظر إلى مُساعِده، مُساعِده الذي رد عليه بالخواطر بدلا من الكلام، سنخسر كل شيء، سنخسر وظائفنا.. سنخسر احترام الجميع.. سنصبح سخرية الناس والعالم.. وهذا هو الجانب الحسن في الموضوع، أما الجانب السيء هوالإقامة الدائمة في مستشفى الأمراض العقليَّة.

- ومتى ستباشر في هذا الأمر يا سيادة الوزير؟

سأل المُساعِد وهو يفكر في الاستقاله والفِرار.. الفِرار بعيدا عن الوزير وكل ما يمت له بصلة، ولكن الوزير جعل آماله تذهب أدراج الرياح حين قال:

- الآن، الآن سنفعلها.. هذه هي فرصتي، وربما تكون الوحيدة لتحقيق هذا الأمر، أملك الآن الصلات والعلاقات والنفوذ لتحقيق هذا الأمر، فرصة قد لا تتكرر.

يا للمصيبة.. الآن؟.. لن يجد وقتا للاستقالة والفِرار.. ولكن.. الوزير يقول أنَّ هذا الأمر سيحتاج عامين على الأقل، وفي هذا الوقت..

لكن الوزير حطَّم خططه مرة أخرى وهو يقول أثناء اتِّصاله بجهة ما من خلال هاتفه النقَّال:

- وحتى تحقيق هذه الغاية ستكون ذراعي اليمنى ومُساعِدي الذي لا غنى عنه، وستتشرف معي على هذا الأمر حتى تحقيقه، وسأحرص على إعطائك نفوذًا واسعًا وتحقيق منفعة وامتيازات كبيرة لك.

- نعم.. البروفيسور (جمال).. نعم الوزير.. أريدك أن تباشر الموضوع فورًا.. أنا والوزارة كلها سنكون في خدمتك حتى تحقيق هذا الهدف.. لا تبخل بشيء ولن نبخل نحن بشيء، المهم هو تحقيق الهدف.. على بركة الله.. بالتوفيق إن شاء الله.

وبدأت عملية قلب الاتجاهات، ليصبح الجنوب شمالًا.. والشمال جنوبًا.. والله وليُّ التوفيق..

تمت

تأمُّلات فلسفيَّة تعاني الإمساك

1



البُسْتان
1

لماذا لا نواظب على ممارسة الرياضة؟

جلست في سريري الضخم، وضعت يدي السمينة على بطني الكبير، وأطلقت تنهيدة تليق بشحومي المُتهدِّلة، وقلت لنفسي:

- لقد صرت سمينًا.

قال المنطق:

- عليك ممارسة الرياضة.

قانطًا.. حزينًا قلت:

- لا أجد الوقت لذلك، أرجع إلى منزلي الثالثة، أتناول الغداء فأنام واستيقظ الرابعة والنصف.

المنطق:

- عليك ممارسة الرياضة.

أكملت أعذاري:

- مع صلاة العصر وتناول الشاي تكون الخامسة والنصف، موعد الذهاب إلى القهوة، وأعود السابعة والنصف.

المنطق:

- عليك ممارسة الرياضة.

نظرت إلى فراغ حجرة نومي، وأكملت الجدال:

- بعد صلاة المغرب ومشاهدة الأخبار وتحضير العشاء تكون التاسعة، بعد الصلاة وتناول العشاء وتصفح الإنترنت تكون الحادية عشرة ليلًا، وهو موعد نومي.

المنطق:

- عليك ممارسة الرياضة.

انتابني الغيض، وقلت:

- ألا تسمعني؟ لا أجد وقتًا لذلك.

المنطق:

- لا تمارس الرياضة.

أوشكت على البكاء، وأنا أقول:

- يجب أن أمارس الرياضة، لقد صرت سمينًا.. صرت قبيحًا، أشبه بشوال قمح لا ملامح لي، لن تقبل عاقلة الزواج منّي، حركتي، انتقالي، سيري أصبح بطيئًا، أنفاسي صارت قصيرة متتابعة، صعود الدرج يعذبني كأنني أصارع وحشًا في كابوس، النهوض من مقعدي معاناة، أخشى المرض، أمراض السمنة وأمراض القلب والضغط والسكر، أخشى أمراض الكِبَر، أريد أن أحيا قويًا نشيطًا إلى آخر يوم في حياتي، بل إلى آخر ثانية في حياتي، لا أرغب في قضاء أيام كِبَري طريح الفراش، أو ملازمًا مقعدي متكئًا على عكاز انظر إلى الناس تروح وتغدو وأنا أسير مقعدي.

المنطق:

- عليك اتباع نظام غذائي صحي والتخلي عن الأطعمة التي تسبب السمنة، والأوقات التي تسببها، كوجبة العشاء.

صحت في غل:

- ولكنني أحب الطعام اللذيذ، وأكره حرمان نفسي مما أحب.

همز المنطق يدي اليسرى، لتهوي بصفعة على خدي الأيسر، وهو يقول ببرود:

- عليك ممارسة الرياضة.

انتابني الغيظ من بلادته، صحت:

- قلت لك لا أملك وقتًا، أنا مشغول طوال الوقت.

المنطق:

- لا تأخذ قيلولة.

مذعورًا قلت:

- مستحيل، بها أجدد نشاطي لأكمل يومي.

المنطق:

- لتكن عشر دقائق بدلًا من ساعة.

بحزن قلت:

- حاولت وفشلت.

المنطق:

- لا حاجة للذهاب إلى القهوة.

- مستحيل، فيها أقابل أصدقائي، ومنهم أعلم أخبار الحي والدنيا، لن أعيش كالدابة لا هم لها سوى الأكل والشرب، القهوة هي من تعطيني الإحساس بالحياة، وبها أرى الأيام.

المنطق:

- لا داعي لتصفح الإنترنت.

بتعجب قلت:

- وكيف أعلم أخبار الدنيا؟

المنطق:

- لتنم الساعة الثانية عشرة.

بلوعة:

- إذا لم أنم ست ساعات على الأقل، فسأقضي يومي مُتعبًا مُرهقًا، وأكثر الصالات الرياضية تُغلق الساعة العاشرة أو الحادية عشرة.

المنطق:

- الرياضة لا تصلح كل يوم، ثلاثة أيام في الأسبوع فقط، تذهب بعد المغرب لساعة، في الأيام التي لا تذهب فبها تعد العشاء ليومين، بحيث تجد طعام العشاء جاهزًا عند عودتك من ممارسة الرياضة.

- ولكن؟!

المنطق:

- ماذا هناك؟ ما هي حُجَّتك الآن؟

في تردد قلت:

- أ.. ألن يكون طعام العشاء طازجًا؟

المنطق:

- نعم، لن يكون طازجًا، وماذا في هذا؟ هذا ثمن زهيد مقابل الصحة والعافية.

وضعت سبابتي على شفتي السُفلية، وأنا أفكر في هذه المعضلة الجديدة، ثمّ قلت متردِدًا:

- ل، لم، لم لا نؤجل ذلك للس.. للشهر القادم؟

المنطق:

- نحن الآن في الشهر القادم منذ ثلاث سنوات خلت، إمَّا الآن أو لا للأبد.

قلت:

- ه، هل تظن أنَّ الرياضة تكفي للتخلص من هذه السِمْنة وهذه الدهون؟

المنطق:

- لا تكفي، ولكنها البداية.

سرى الارتياح في بدني وقلت:

- إذًا لا داعي لها.

المنطق:

- أيُّها العَكَوَّك[1] أيُّها الكسول، أيُّها المُتردد، أيُّها الجبان، كل شهر تكرر هذا، بدون خجل، بدون حياء، منذ ثلاث سنين وأنت تكرر هذا كل شهر، عديم الهمة، فاقد العزيمة، أيُّها الخَوَّار.

* * *

الكسل:

[1] العَكَوَّك هو الترتيب الخامس والأعظم والأخير في وصف سِمْنة الرجل - فقه اللغة للثعالبي.

- الوغد.. الحقير.. يريد ممارسة الرياضة.. لماذا؟.. لماذا؟.. لماذا نترك الدعة والهدوء؟.. لماذا نترك الاستلقاء والاسترخاء؟.. لماذا نترك الطعام والشراب؟.. لماذا نبحث عن التعب والإرهاق؟ لماذا؟ لماذا؟ لأجل كرشه الضخم! الكرش مقام ورفعة.. الكرش هيبة ووقار.. أنفاسه تضيق وهو يصعد السلالم؟.. لماذا لا يستخدم المصعد؟ لماذا لا يصعد درجة ويستريح درجة!.. الوغد.. يريد مظهرًا حسنًا؟.. النساء لا تهتم بالشكل يا أحمق.. النساء تهتم بهيئة حسابك المصرفي.. يريد أن يحيا عمره كله بصحة وعنفوان؟.. فلماذا الرياضة إذًا!.. ألا يعلم أن الشيء الذي لا يتحرك من مكانه يحافظ على هيئته وكيانه وعنفوانه.. كالسيارة التي لا تترك المرآب.. تبقى جديدة وبعافيتها ولو بعد ألف عام.. يريد أنْ يمارس الرياضة!.. يريد أنْ يمارس الريا... آآآآآ.. يريد ممارسة الرياضة..مممممممم.. لا بأس.. ~وابتسم في خبث.. ابتسم في لؤم~ حسنًا لندعه يمارس الرياضة.. وسأحرص على أن يمارسها.. يمارسها بقوة..

* * *

نظرت إلى صالة الألعاب الرياضية الفسيحة، والرهبة تعصف بي، ومجموعة من الشبان تمارس الرياضة.. بهمة.. بنشاط.. بعزيمة.. بابتسامة.. وينتقلون من آلة إلى أخرى، وهم يتبادلون الأحاديث المرحة،

هذا يركض.. وذاك يرفع أثقالًا.. أمَّا ذاك فكأنَّه في سباق قوارب سريعة.. أمَّا ذاك.. بخلاف ذاك.. وذاك لا يكفُّ عن ذاك..

اقترب مني الشاب الذي قام بإجراءات تسجيلي في النادي، وابتسامة على وجهه، أنَّه فخور بجسده الرياضي المتناسق، الذي يجعلنا من فصيلتين مختلفتين، قال:

- أهلًا بك يا (خميس).

رحب بي بدون ألقاب كأنَّه يعرفني منذ زمن، وأكمل ضاحكًا:

- الحمد لله أنَّك لست (جمعة)، وإلَّا كنت في إجازة بلا نهاية.

ابتسمت لطرافة قوله، كنت آلِف هذا الأسلوب (التسويقي) في الأعمال التجارية، وكم رغبت في تقليده في أكثر من مناسبة، ولكنني علمت أنَّه موهبة فطرية أو يحتاج إلى تدريب طويل فأقلعت عن المحاولة واكتفيت بطبيعتي.

أخذني في جولة واسعة في أرجاء النادي، وأوضح لي مهمة كل قسم ووظيفته، ثم أخذني إلى قسم تغيير الملابس، أعطاني بطاقة وهويشير إلى صفوف من الخزائن ويقول:

- سأتركك لترتدي ملابس الرياضة، اختر خزانة لتضع فيها ملابسك وأشيائك، ولا تنس إغلاقها بالبطاقة، وحين تفرغ ستجدني في انتظارك عند الاستقبال.

أومأت برأسي موافقًا، ووجدت خزانة فارغة، فوضعت أشيائي على المقعد الطويل الممتد أمام الخزائن، ولففت حول جسدي الفوطة الكبيرة التي

حصلت عليها من قسم الاستقبال، وعجزِت أن تحيط بكامل خصري فأمسكت بها بيدي وقمت بتبديل ملابسي وأغلقت عليها الخزانة، وذهبت إلى قسم الاستقبال، لأجد الشاب (إسماعيل) ينتظرني، ذهبنا معًا إلى القسم العام وهو أوَّل قسم يلاقيك عند دخول النادي، وهو بخلاف الأقسام الأخرى يحتوي عَيِّنة من كل قسم في النادي، مع كامل معدات اللياقة، قال (إسماعيل):

- قلت إنَّك ستتبع برنامجك الخاص ولا تحتاج مشرف، لذا سأرافقك هذه المرة فقط لأجل تعريفك بمعدات هذا القسم، وكيفية استخدامها.

جولة سريعة انتهت بذهابه ووقوفي على آلة الجري، جميع المعدات بسيطة الاستخدام باستثناء آلة الجري بسبب كثرة الخيارات، قمت بتشغيلها على خيار السير البطيء، وأنا أشعر بأن الآلة تسحبني كي أسقط على وجهي، ولكنني تخلصت من هذا الشعور بزيادة سرعتي، وتجاهلت الغمز واللمز من حولي والحديث عن الفيل الذي فقد طريقه إلى حديقة الحيوان فجاء صالة الألعاب الرياضية، الجميع ينسى بداياته ويتذكر إنجازاته ويتشدَّق بها كأنَّها وُلدت معه.

الخُطَّة الرياضية الذي جلبتها من أحد المواقع الرياضية على شبكة الإنترنت، تنصح بأن تكون المرَّة الأولى قصيرة وخفيفه، مع زيادة تدريجية كل مرَّة، حتى لا تُمزِّق العضلات مما يؤدي لآلام وصعوبة في الحركة.

أكملت المُقرر لهذا اليوم، عشرون دقيقة من التمارين الرياضية المتنوعة، كان النصيب الأكبر منها للسير البطيء والسريع.

المنطق:

- رائع، بداية طيِّبَة.

الكسل:

- رائع؟ ما هذا الهُراء؟ أنَّه لم يفعل شيئًا، عشرون دقيقة، ساعة على الأقل من التدريب الجادّ تستطيع أن تقول عنها بداية طيِّبَة.

المنطق:

- خميس، لا تستمع لهذا الخبيث، أنَّه يريد إفساد الأمر مثل كُلّ مرَّة، لقد أنجزت وأبدعت.

الكسل:

- أنجزت وأبدعت؟ عشرون دقيقة فتقول أنجزت وأبدعت؟ هذا النادي يأخذ رسومًا باهضة، انظر حولك، انظر إلى الفخامة والثراء، انظر إلى ابتسامات العاملين، هذه الابتسامات ترسمها أموال (خميس)، يجب أن يحصل على مقابل لماله، يجب أن يعتصر هذا النادي اعتصارًا كي يعوِّض ماله الذي يُلقيه في هذا النادي، المال الذي يتعب ويشقى (خميس) وهو يجلبه ويحصل عليه، (خميس)، لا تترك آلة حتى تهترئ في يدك، هذا أقل ما تستحقه مقابل مالك، مالك يا (خميس)، المال الذي تشقى للحصول عليه، هيا، هيا يا (خميس).

مترددًا، وضعت سبابتي على شفتي وأنا أفكر في كلام (الكسل)، قلت لنفسي:

- هذا حق، عشرون دقيقة ولم أفعل شيئًا سوى تمرينات خفيفة وبسيطة، بهذه الطريقة سأحتاج سنينًا طويلة حتى أصل هدفي، سنون ستأخذ الكثير

من المال، أشعر أنني استطيع فعل المزيد، أملك الطاقة والقدرة لمزيد من التمرين المُتعب.

المنطق:

- لا تستمع له يا (خميس)، أنَّه يفسد الأمر كما يفعل كُلّ مرَّة، لقد قمت اليوم بخطوة صغيرة ولكنَّها عظيمة.

زجرته بالقول:

- كلَّا، أشعر بالقوة والطاقة والقدرة على التمرينات، فلماذا أتوقف؟

حاول المنطق إيقافي ولكنني تجاهلته وأنا أنقضُّ على آلة التمرينات أمامي..

*** * ***

عدت إلى شَقَّتي مُتعبًا مُنهكًا سعيدًا بعد ساعة ونصف من التمرينات الشاقّة، اتجهت إلى فراشي ونمت كالقتيل.

استيقظت الساعة السادسة والنصف صباحًا مذعورًا، وكل جزء من بدني يؤلمني، كأن عصابة من الأشرار كانت تضربني بالهراوي طوال الليل، بصعوبة جلست في فراشي، وكل عضلة في جسدي تتوسلني أنْ لا أتحرَّك، ولكن كيف؟ لقد تأخرت عن عملي، في العادة استيقظ في الخامسة تمامًا، أصلي الفجر، أتناول طعام الإفطار، أتصفَّح أخبار الدنيا وأنا أتناول قهوتي، وأنطلق إلى عملي عند الساعة السادسة والنصف.

الآن! لا وقت لهذا كُلّه واكتفيت بصلاة الفجر قضاءً، وارتديت ملابس الخروج وانطلقت إلى عملي، بلا إفطار، بلا قهوة، بلا أخبار الدنيا، لأصل عملي متأخرًا نصف ساعة كاملة لأوّل مرّة.

المنطق:

- قلت لك لا تُجهد نفسك، ابدأ شيئًا فشيئًا، عشرون دقيقة، خمس وعشرون دقيقة وهكذا حتى نصل إلى أكثر من ساعة من التدريب العنيف الفعّال، أخبرتك أنَّ (الكسل) سيفسد كُلّ شيء.

الكسل:

- لم أفسد شيئًا، لقد حرصت على ماله من الضياع، ما أصابه هو نتيجة الرياضة التي أصررت أنت عليها، وهذه هي النتيجة، لم يستطع الاستيقاظ في موعده، تأخر عن صلاة الفجر، وخرج دون الإفطار والقهوة، ووصل عمله متأخرًا، وحتمًا سيُؤنَّب على هذا التأخير، ورُبَّما سيُقتطع من راتبه.

المنطق:

- الرياضة هي السبب في هذا! أم أنت؟

الكسل:

- أنا؟! كيف؟ لقد حرصت عليه، على ماله، على وقته، على عمله، أنت والرياضة وراء ما أصابه.

المنطق:

- أيُّها الخبيث، أنا والرياضة ما أفسدا يومه؟ أم إصرارك على بذل جُهْد يفوق طاقته في المرَّة الأولى؟ جُهْد مزَّق عضلاته وأرهقها.

الكسل:

- يفوق طاقته؟ ألم تسمعه يقول أنَّه يشعر بالقوة والنشاط؟

المنطق:

- نعم، سمعته، ولكنَّه كان خاملًا مدة طويلة، لم يمارس فيها نشاطًا بدنيًا، وكان يجب أن يبدأ تدريجيًّا.

الكسل:

- إنَّك لا تجد ما تلومه سواي، اذهب عنّي.

كان يومي مرهقًا، مع آلام جسدي شعرت كل شيء يحتاج إلى جُهْد كبير، حتى النهوض عن مقعدي معاناة.

*** * ***

في طريق عودتي مرَرْت بمطعم لشراء طعام الغداء، لا طاقة بي لطهي الطعام، سأشتري طعامي جاهزًا.

نظرت إلى قوائم الطعام الممتلئة بأصناف الطعام، وكُلّ ما لذَّ وطاب منه، وعيني تقفز من صنف لآخر، ومعدتي تشتهي وتتمنى.

الكسل:

- لتكن وجبة دسمة، بل وجبتين، لقد أرهقت نفسك في التدريبات بالأمس، وتحتاج لإصلاح ما أفسدته الرياضة، لقد تمزَّقت عضلاتك شرّ ممزّق، لتكن وجبتين كبيرتين دسمتين.

المنطق:

- أيُّها اللعين، ألا يكفيك ما أفسدته بالأمس، (خميس)، وجبة عادية بسيطة، لا تُفسد ما أنجزته بالأمس، وهذه المرَّة فقط، لأنَّك مُجْهد من تدريبات الأمس ولا تملك القدرة لإعداد وجبة الغداء، ولكن بعد القيلولة والذهاب إلى القهوة ستصير مُنتعشًا وقادرًا على إعداد وجبة العشاء.

الكسل:

- خميس، هل ستشتري طعامًا كل يوم؟ ستشتري هذه المرَّة فقط لأنَّك مُتعب، أنت خير من يعلم حرصي على مالك، وتعلم أنَّ رفضي لممارستك الرياضة هو من باب حرصي على ما لك.

المنطق:

- لا تس...

قلت لنفسي:

- سأشتري وجبتين كبيرتين، اليوم حالة استثنائية لأنني مُتعب.

المنطق برجاء:

- حسنًا، ولكن أريدك أن تشرب كأسًا من الماء قبل اختيار وشراء الطعام.

الكسل:

- لا تستمع له يا (خميس)، الخبيث يريد أن تمتلئ معدتك بالماء، فتذهب لذة الطعام فلا تشتريه، وهل يغني الماء عن الطعام؟! الجسد يحتاج ما يغذيه، يحتاج فيتامينات وأملاح وغيرهما مما يوجد في الطعام.

المنطق:

- كلَّا يا (خميس)، هذا الشيطان سيدمر حياتك، الماء سيكسر شهوة الطعام، ويجعل اختيارك عقلانيًّا وليس شهوانيًّا.

قلت:

- حسنًا، إذًا وجبتان كبيرتان.

وسكت (المنطق) وابتسم (الكسل)..

*** * ***

اليوم هو اليوم الثاني لممارسة الرياضة، كم أشعر بالتعب والإرهاق، الأمس كان استراحة من ممارسة الرياضة، واليوم يجب الذهاب إلى النادي، ثلاثة أيام في الأسبوع هو الجدول الذي ينصح به الخبراء، ولكنني مُتعب جدًّا، لم أتعاف من اليوم الرياضي السابق، عضلاتي تؤلمني.

الكسل:

- لا داعي للذهاب، انتظر حتى تتعافى.

المنطق:

- بل يجب أن يذهب، هذه الآلام ستزول بعد دقائق قليلة من بدء التدريبات الرياضية.

الكسل:

- ولم العجلة؟ لن يذهب اليوم وسيذهب بعد غدٍ، سيستعيد جسده عافيته ثمّ يذهب.

خبيثًا قال المنطق:

- وماله؟! هل سيذهب هدرًا؟! ألم تقل أنَّه يجب أن تهترئ آلاته على يديه؟! ألم تقل أنَّ ابتسامات العاملين تأتي من ماله؟! عدم ذهابه اليوم يعني إلقاءه المال في الهواء.

الكسل:

- انظر إليه أيُّها المتوحَّش، أيُّها الظالم، أنَّه مُتعب، أنَّه مُرهق، سيتغيَّب اليوم، وسيعوَّضه المرَّة القادمة.

المنطق:

- كفى مماطلة، هذا التعب كُلّه سيزول بعد خمس دقائق من ممارسة الرياضة، لا تفسد خطته كما أفسدت بدايته.

قلت:

- أنا مُتعب اليوم، لن أذهب.

*** * ***

بعد خمسة أشهر..

لن أذهب للنادي، لا فائدة من ممارسة الرياضة، لم استفد شيئًا سوى إهْدار مالي، وضياع وقتي، بل زاد وزني.

مغتاظًا، قال المنطق:

- بالتأكيد لم تستفد شيئًا من ممارسة الرياضة، لم تحترم الخطة الرياضية، ولم تواظب على الحضور، بل تتلكأ وتصطنع أعذارًا واهية للغياب، ومقابل كل ساعة تمرينات تلتهم أطنانًا من الطعام بحجة مساعدة جسدك على تعويض التالف من عضلاتك، وأثناء ممارسة التمرينات الرياضية تقضي أكثر من نصف الوقت في الثرثرة مع أشخاص من طينتك، لم تجعل لنفسك أهدافًا ومستويات تسعى لتحقيقها، لم تختر لنفسك منافسًا تطمح لهزيمته، لا تملك الهمة ولا العزيمة للاستمرار، فكيف بعد هذا تستفيد من ممارسة الرياضة؟!

الكسل ممتعضًا.. مستاءً:

- دعك منه، يكفيك ما فعلته، أي رياضة تلك التي تدعو إليها؟! لقد أهلكت ماله وأهدرت وقته، وأفسدت أيامه.

المنطق وقد أوشك أن يتركني من الغيظ:

- وكيف يصير رشيقًا؟ كيف يعيش سليمًا معافى؟ كيف لا ينال منه الكِبر؟ بل كيف يستمتع بالحياة؟ لا بد من الرياضة.

في استكبار قال (الكسل) وهو يربِّت على كتفي:

- سيحقق ذلك كُلّه، وبأبسط الطرق.

المنطق والاستنكار حاله:

- كيف؟

رفع الكسل سبابته ~ حتى الكسل له سبابة! ~ وقال:

- نظام غذائي صحِّيّ.

نظر له (المنطق) عاجزًا عن الرد، وهو يسمعني أقول:

- نعم، هذا هو، نظام غذائيّ صحِّيّ.

نظر (المنطق) إلينا، غاضبًا، حانقًا، أنَّه يعلم الحقيقة، النظام الغذائيّ خطة بديلة للفِرار من الأولى، خطة مصيرها الفشل كسابقتها، ولكن كلَّا، لن يتركني بين براثن الكسل، سيُعد خطة للعودة إلى الخطة الأولى، إلى ممارسة الرياضة، وجلس يفكر ويفكر ويفكر وأنا ألتهم الطعام وانظر إليه، والتهم والتهم، ثم انهض إلى الثلاجة لأعود بصندوق المُثلجات، والتهمها بنهم وأنا انظر إلى (المنطق) وهو يفكر ويفكر ويفكر.. وأنا التهم والتهم والتهم..

ونلتقي المرَّة القادمة مع (الخطة)..

تمت بحمد الله



البُسْتان

1

الأبواب

الجزء الأوّل

إبراهيم محمد

1- الباب

وثب (عابد) عبر باب شقته، ليُغلق الباب خلفه بقوة مع دوي عال، نظر إلى الأثر الذي تركه الباب في مؤخرة حذائه، لم يعد هناك مجال للانتظار، يجب أن يذهب لمجلس المدينة، إحدى المرات القادمة سيُغلق الباب عليه، ويشطر جسده نصفين أو على الأقل سيبتر جزءًا منه، حكَّ مؤخرة حذائه في طرف سرواله ليُخفي الأثر قدر المستطاع، الحذاء أم السروال؟ كلاهما مهم، ولكن الحذاء أغلى ثمنًا، إذًا لنحافظ على الحذاء.

هبط بسرعة حتى باب البناية، ووقف أمام الماسح الإلكتروني.. التعرُّف على الوجه.. مسح قزحية العين.. يُفتح الباب ويعبر من خلاله، باب البناية يعطيه سبع ثوان للعبور في حين باب شقته يعطيه ثانيتين للعبور بدلًا من خمس ثوان للعبور، هناك خلل ما حتمًا، يجب أن يذهب لمجلس المدينة اليوم بلا تأخير.

حثَّ السير في الطريق والناس من حوله أقرب للركض سيرهم، وأقترب من محطة الحافلات، ومرة أخرى وقف أمام الماسح الإلكتروني، ليجد رقم مقعده في وسط الحافلة، جلس في مقعده والحافلة تواصل سيرها وتتوقف في كل محطة لينزل أحدهم أو يصعد، حتى بلغ محطته، لينزل في الميدان الواسع، قريبًا من مقر عمله.

كما هي العادة انطلق رنين ساعته، رفع ساعته ليقرأ رسالة التحذير على شاشة العرض الفراغيّة.. الرسالة المعتادة..

"لقد اقترب الوقت المتاح لك في هذه المنطقة على النفاد، يجب عليك المغادرة خلال خمس دقائق، سيتم تنفيذ الإجراءات القانونية بحقك في حالة مخالفة التعليمات"

تجاهل التحذير وجدّ في سيره، وعيناه ترصد طائرة تطبيق القانون وهي تطير في سماء الميدان، اقترب من باب الشركة ووقف أمام الماسح الإلكتروني، والدقائق الثلاث المتبقية أصابهن السعار ويحترقن كورقة جريدة قديمة، فُتح الباب ومرق منه كالسهم، نظر إلى ساعته، خمسون ثانية تحول بينه وبين مخالفة القانون.. "العيش على الحافة".. أين قرأ هذه العبارة.. هل هي جملة أم اسم رواية أم فيلم؟.. لا يهم هذه هي حياته.. توجه إلى المصعد، هل يذهب إلى مكتبه أم إلى نائب المدير؟.. لا.. ليذهب إلى مكتبه وبعد ساعة عمل يذهب إلى نائب المدير.

لم يكد يلمس كرسي مكتبه بجسده، حتى فاجأه زميله (ممدوح) بفتح الباب وبدون تحية أو مقدمات، قال:

- أستاذ (عابد)، هل ستأتي معنا إلى جنازة العم (حسنين)؟

نظر (عابد) إلى زميله ممدوح، وبدهشة سأل كأن الموت أمر غريب:

- عم (حسنين)! هل مات؟

كان (ممدوح) يقوم بضروريات الموقف، يصطنع الحزن.. يطأطأ الرأس.. تنظر عيناه إلى اللا شيء.. يوشك على البُكاء، كأنَّ العم (حسنين) أبوه في الرضاعة، ولم يهتم (عابد) بتصنُّعه، وسأله وهو يخشى الجواب:

- هل مات بشكل طبيعي أم...

هزَّ (ممدوح) رأسه نفيًا، وقال ما يخشاه (عابد):

- لا، لقد أُغلق عليه الباب.

أنتاب الذُّعر (عابد).. وملأ الرُعْب كيانه.. يجب أنْ يُسرع.. يجب أنْ يجد حلًّا لمشكلته.. يجب أنْ يفعل شيئًا.. قبل أنْ تُغلق عليه الأبواب.. كلّ الأبواب..

قال (عابد) كباب توصده الرِّيح:

- لا يا أستاذ (ممدوح)، لن أذهب معكم، لدي أمر يجب إنجازه.

وبسرعة دار حول مكتبه ومرَّ بجوار زميله كالبرق، تاركًا إيّاه ينظر إليه مدهوشًا، هذا ليس وقت مجاملات، كلا.. بل أنَّه لن يذهب إلى نائب المدير لطلب إذْن بخروج مُبكِّر من العمل، سيذهب لدائرة تنظيم الانتقال في الطابق الأرضي.

كان سيره أقرب للركض والأرض تندفع أسفل قدميه، والوجوه تمر عليه أطياف لا يميِّز بعضها من بعض، وأصوات تُلقي إليه بكلمات لا يسمعها، تجاهل المصعد.. شعر بأنّه سلحفاة.. رغم أنَّه أسرع.. وشرع يقفز درجات السلّالم.. حتى وصل الطابق الأرضي.. واندفع نحو دائرة تخطيط الانتقال..

دائرة تخطيط الانتقال هي شاشة، كالتي تستخدمها في محطات القطارات حين تقطع تذكرة رحلتك، موضوعة في ركن بهو الاستقبال الخاص بمقر عمله.

انتظر حتى قام الماسح الإلكتروني بتحديد هويته، وظهرت صورته مع اسمه في ركن الشاشة.

بسرعة أختار مجلس المدينة من قائمة الأماكن الرئيسية والمهمة في المدينة، وطلب قسم الشكاوى الخاص بالأبواب، وحصل على موعد مناسب في هذا اليوم، هذا الأمر يُمكن إنجازه من حاسوب مكتبه أو من خلال ساعته لولا مسألة المسح الإلكتروني، الذي تصر الحكومة أن يتم بواسطة الأجهزة العامة المعتمدة لديها.. لماذا؟ لا يعلم.. رُبَّما كي تبقى البيروقراطية حيَّة ولا تموت.. طلب خريطة الانتقال إلى مجلس المدينة.. ووقف ينتظر.. وينتظر.. وظهرت الخريطة.. لا يمكن.. عليه أنْ يمرَّ بمعظم أجزاء المدينة حتى يصل إلى موعده.. حتى لو انطلق الآن.. لن يكفي الوقت..

طلب تغيير الخريطة وأضاف هذه المرة بيانات الموعد الذي حصل عليه.. ورفع أولوية الطلب إلى المستوى الأول.. المستوى الذي يتعلق بالحياة.. أو الموت..

هذه المرة استغرق الأمر وقتًا أطول، أطول والنتائج أفضل، سيمرُّ بأربع مناطق فقط.. بشرط أنْ يبدأ عملية الانتقال في الساعة العاشرة.. رائع.. هذا يعني أنَّه يستطيع الحصول على إذْن بالانصراف المبكر من عمله..

لم يرجع إلى مكتبه واتجه فورًا إلى مكتب نائب المدير، الوجوه الشبحية التي مرَّ بها من قبل صارت واضحة، والأصوات مفهومة، واصل طريقه وتجاهل نظرات التساؤل والفضول في العيون، وجد زميله (ممدوح) واقفًا متذمرًا في الممر المؤدي إلى حجرة نائب المدير، وببهجة سأله:

- ممدوح، ماذا حدث؟

نظر إليه زميله في استغراب، "ممدوح؟ ".. وأين "أستاذ (ممدوح)؟"، تجمعهما زمالة طيبة ولكن كلمة "أستاذ" حاضرة دائمًا، وماذا أصابه؟.. لقد ذهب بحال وعاد بأخرى.. تجاهل (ممدوح) هذه الأفكار ورد بقنوط:

- دائرة تخطيط الانتقال.. لم توافق على ذهاب سوى خمسة موظفين فقط، وبعد الساعة الخامسة.

أدرك (عابد) مأساة زميله، الوفيات والتعازي هي فرصة جميع الموظفين والعاملين للخروج المبكر من العمل، والحصول على خرائط انتقال جيدة، تسمح لهم بالترفيه عن أنفسهم، ورؤية أماكن قد يكون من الصعب الوصول إليها في الأحوال العادية، قد يرى البعض في ذلك قسوة، أنَّ الموت صار وسيلة للترفيه، ولكن قوانين الانتقال الصارمة لمنع الازدحام جعلت مما يترتب على هذه المناسبات فرصة للترويح عن النفس.

وأكمل (ممدوح) بغيظ:

- ماذا أصاب العالم؟ منذ متى كان الازدحام مشكلة؟ ماذا سيحدث حين تضرب كتفي كتف شخص آخر في الطريق؟.. ماذا سيحدث لو تأخر أحدنا بضع دقائق عن موعده؟ من الأحمق الذي اخترع فكرة الأبواب وخرائط الانتقال؟!

رُبَّما هو أحمق، ولكنَّ الأبواب وخرائط الانتقال ساعدت في التخلص من الازدحام وزادت الإنتاجية وانخفضت أو انعدمت الجريمة، وصارت الحياة

شديدة التنظيم، صحيح أنَّ العفوية اختفت، والمفاجآت قلَّت، وهذا ثمن لا يتوقف عنده الكثيرون.

رسم وجه (عابد) تعاطفًا مع زميله، قال:

- من الخمسة؟

أشارت يد (ممدوح) بأنَّ صاحبها لا يعرف، وأكَّد لسانه:

- لا أعلم، نائب المدير هو من سيختارهم، وحتمًا لن أكون أحدهم، رُبَّما أنت؟

نفى رأس (عابد) وصاحبه يقول:

- لا أظن ذلك، لدي أمر هام، وسأغادر عند الساعة العاشرة.

وثب الفضول إلى عيني (ممدوح) وألقى سؤالًا صامتًا، تجاهله (عابد) ولم يجب سؤاله، وأردف معزَّيا:

- لا تهتم، هناك فرص كثيرة قادمة، أعذرني سأطلب خروجًا مبكرًا من نائب المدير.

وواصل طريقه، في حين أثارت جملته خيال (ممدوح).. فرص كثيرة! هل سيموت المدير؟ ونائب المدير؟ أنَّ العاملين في مقر عملهم لا يقلّون عن مئتي شخص، هذا يعني مئتي جنازة، مما يعني مئتي فرصة.. هل هذا ما يقصده (عابد)! ولكن هذا يحتاج منه أنْ يكون آخر المُتَوفين! وهذا أمر صعب تقريره، لأنّ الأعمار بيد الله..

ترك (ممدوح) موقفه وتوجَّه نحو مكتبه، وهو يحسب الفرص الكثيرة.. القادمة..

وافق نائب المدير على الخروج المُبكر من العمل، وتمنَّى لـ (عابد) التوفيق، ذهاب (عابد) سيجعل مكانه في العزاء شاغرًا لشخص آخر.. شخص ممن يحبون تقبيل يد المدير ونائبه.. وهو يحب مَن يقبلون يديه..

***

حكّت يد خبير الأنظمة الأمنية رأس صاحبها، الذي جلس يستمع إلى السَّيِّد (ماهر) وهو يقول:

- أنا في حاجة إلى تلك الشَقَّة، ابني سيتزوج قريبًا، وأرغب في أن يسكن بجواري.

أوقف خبير الأنظمة الأمنية حكَّ رأسه، ونظر إلى مُحدِثه متأملًا، وزاد في التأمل، سأل:

- وماذا عن صاحب الشَقَّة الحالي؟

- شاب وحيد، تُوُفِّيَتْ أمه منذ عامين، ولا أظنّه سيتزوج قريبًا.

خفض السَّيِّد (ماهر) عينيه بعد أنْ أنهى جملته، ولم يكن لدي خبير الأنظمة الأمنية سوى المزيد من تأمل الجانب الأيمن لرأس السَّيِّد (ماهر)، لا جديد في الأمر، الكثيرون يأتونه في مهام مشابه، هناك من يريد التخلص من شخص ما، وهناك من يريد الوصول إلى مكان ما، وهناك من يريد خريطة انتقال تسمح له بالذهاب والأياب متى يشاء وأينما يشاء.

وكأنَّ الحديث يدور حول الطقس، سأل خبير الأنظمة الأمنية:

- هل تريد التخلص منه؟

رفع السَّيِّد (ماهر) رأسه وبكلمات يخالطها الهلع، قال:

- لا لا، لا أريد التخلص منه، أريد أن ينتقل إلى مكان آخر فقط، التخلص منه لن يحل مشكلتي، بل سينقلها إلى شخص آخر.

بتؤدة.. بتمهل.. بتفهم.. هزّ خبير الأنظمة الأمنية رأسه، أنَّه يعرف ما عليه فعله، ولكنه يرغب في معرفة كنه هذا المدعو (ماهر)، لذلك سأل:

- إذًا! ماذا تريدني أنْ أفعل؟

يبدو أنَّ السَّيِّد (ماهر) قد فكَّر في هذا السؤال كثيرًا، وأعد له جوابًا، هذا واضح من إجابته:

- مشاكل في الشَقَّة.. إفساد نظام فتح وأغلاق الباب سيؤثر على حياته بشكل كبير، وخاصة عمله.. تخريب نظام توزيع الماء والكهرباء والغاز سيجعل حياته جحيمًا.. أمور كهذه تجعله يفكر في ترك الشَقَّة إلى مكان آخر.

هزُّ الرأس تعقيب لا جديد فيه على كلام السَّيِّد (ماهر)، والانتقال للأمر الفاصل في هذه الأمور هو ما يحدد جِدِّيّة (الزبون) وأهمية هذا الأمر له، قال خبير الأنظمة الأمنية باختصار لا يمكن اختصاره:

- خمسة نمور.

خمسة نمور!.. مستحيل.. لقد أعد خطته ومشروعه على أنْ لا تزيد التكلفة عن عشرة ديوك، خمسة نمور؟! وهتف السَّيِّد (ماهر) بفزع:

- خمسة نمور! ولكنَّهم يفعلونها بخمسة دُيوك..

لا جديد في الأمر، أنَّه يعلم طبيعة (الزبائن)، وأنَّهم يأتونه لأجل الحصول على الأفضل بالأقل، وهذا ينافي طبيعة الحياة، وستدور مساومة تنتهي بتنازله عن النمور الخمسة إلى أربعة نمور وخروف أو أكثر، أمَّا الدُيوك فهو لا يتعامل بها أبدًا، وهذا يعني أنَّ (الزبون) كاذب أو ساذج، قال:

- إذًا.. لتذهب لمن يفعلها بخمسة ديوك.

بسذاجة تفخر بها السذاجة، قال السَّيِّد (ماهر):

- ولكنْ.. ليس هناك من يفعلها سواك!

نظر خبير الأنظمة الأمنية إلى السَّيِّد (ماهر) من تحت حاجبيه، قال:

- إذًا..

شكى السَّيِّد (ماهر) من قسوة الحياة، وارتفاع تكاليفها وأنَّه يلهث وراءها ليضمن لنفسه ولأسرته حياة كريمة.

مساومة.. تَوسُّل.. تسوُّل.. وتمَّ الاتِّفاق على أربعة نمور وتسعة خراف، هذا يعني أنَّه بقي خروف واحد لتصير خمسة نمور.

سأل خبير الأنظمة الأمنية:

- والآن، ما رقم الشَقَّة؟

مُنهكًا.. حزينًا، أجاب السَّيِّد (ماهر):

- الحي التاسع، القطاع الثالث، البناية الخامسة، رقم تعريف الشَقَّة هو 0903050512.

قام المساعد الذَّكي في ساعة خبير الأنظمة الأمنية بحفظ البيانات، ومدَّ خبير الأنظمة الأمنية يده إلى السَّيِّد (ماهر) ليُعلن تمام الاتِّفاق.

* * *

أنهى العامل المختص عمله، ونقر على الباب بمفاصل أصابعه، قال:
- ليس به أي مشكلة الآن، خمس ثوان انتظار في الظروف الطبيعية، وعشرون ثانية في حالات المرض والطوارئ.
نظر (عابد) إلى الباب في حذر وقلق، كما لو كان الباب أفعى تعاني ضغوطًا نفسية، سأل:
- هل أنت متأكد؟
بثقة.. بتشجيع، أجابه العامل:
- نعم، لم لا تختبره؟
وضع العامل بطاقة عمله أمام الماسح الإلكتروني، وفُتح الباب، وأشار لـ (عابد) أنْ يعبر، بحذر وقلق عبر (عابد) الباب، وانتظر انتهاء الثواني الخمسة، و.. كسكين جزار سمين ومشغول.. هبط الباب الزجاجي بقوة وبصوت عالٍ، وعاد الذُّعر يجري في أوصال (عابد)، وثرثرت عيناه - عبر الزجاج- برعبها إلى العامل.
استقبل العامل نظرات (عابد) وثرثرتها بهدوء، وأشار له بيده أنْ يهدأ، هذه الأمور معتادة في عمله، بعض الأبواب عنيدة، ولا تخضع لخطوات العمل المعتادة، تحتاج بعض التمهل.. قليل من الكيّاسة.. قليل من السياسة.. حَفْنة من الحنان..

وانـهمك مُتأنِّيًا في إصلاح الباب، بعد عشر دقائق من العمل الدؤوب، رفع رأسه ووضع البطاقة أمام الماسح الإلكتروني، وفُتح الباب، وأشار لـ (عابد) بالعبور..

ولكن قدمي (عابد) غُرزت في الأرضية كشجرة معمرة لها آلاف الأعوام، وبلا إرادة منه تحرك رأسه يمنة ويسرة كبندول ساعة من القرن التاسع عشر.

أدرك العامل هلع (عابد)، ولم يجد بديلًا من أنْ يُجرَّب بنفسه، رغم التعليمات الصارمة بعدم إخضاع الأمر للتجربة، انتظر حتى انتهت المهلة وعاد الباب للإغلاق بهدوء تام، فتح العامل الباب مرة وهذه المرة عبره بنفسه وانتظر الباب ليُغلق بهدوء، نظر إلى (عابد)، وتكلمت عيناه:

- هل استرحت الآن؟

أجابت عينا (عابد):

- ليس تمامًا.

تكلم العامل وبحَنَق قال:

- وماذا تريد أكثر من هذا، لقد أصلحت الباب، وها أنت رأيته يعمل بشكل آمن، واختبرته بنفسي أمامك، أم لعلك تريدني معك كلما احتجت الدخول أو الخروج من شقَّتك؟

تخبَّط الصوت في فَي (عابد) حتى وجد له مخرجًا، فخرج مُنهكًا.. متحشرجًا:

- كلا، ولكن.. ما الذي يضمن عدم عودة المشكلة؟

سؤال تقليدي.. سؤال مُعتاد.. سؤال مألوف.. جوابه يحتاج ابتسامة عريضة.. نظرة واثقة.. نبرة حاسمة..

فعل العامل كل ذلك وهو يقول:

- مستحيل.. يا أستاذ (عابد).. هذا الخلل لا يمكن أن يحدث فجأة.. لا بد من مقدمات تجعلك تدرك أنَّ هناك خلل ما.

أشار (عابد) إلى الباب بكلتي كفيه، قال:

- ولكنك رأيته يسقط كالسيف قبل قليل!

- لقد نسيت إعادة ربط وتشغيل دائرة الأمان.

- وماذا نسيت أيضًا؟

- أستاذ (عابد)؟ هل أنت جبان أم تتهرّب من الشاي ومُثلجات الموز؟

مُثلجات الموز!.. هل يجب دفع إكرامية أيضًا.. ألا يكفي تكلفة خروج العامل التي دفعها في مجلس المدينة؟

تحركت بقايا الكرم العربي في وجدان (عابد)، فأنطقت لسانه رغمًا عنه، وعلا صوته بترحاب:

- شاي ومُثلجات أيضًا! فقط؟ أنت تطلب ما تريد يا سيِّدي العزيز.

وتذكر شيئًا ما، لا يعلم أهو شعر أم مقولة، أردف:

- ضيفنا لو جئتنا، لوجدتنا.. نحن الضيوف وأنت ربُّ المنزل.

سُرَّ العامل بهذا الترحيب، ودخلا الشَقَّة، وأخذت مراسم الضيافة نصف ساعة كاملة، تمَّ خلالها استهلاك عدة كؤوس من الشاي مع الكعك وخلَّانه،

والمكسرات التي لم تجد لها مُتسعًا في بطن العامل فذهبت إلى جيبه، حتى حانت اللحظة الحاسمة..

أخرج (عابد) أوراقًا مالية من جيبه، ووضعها في جيب قميص العامل، وهو يقول:

- هذا أقل مما تستحقه، ولكن العين بصيرة واليد قصيرة.

لم يهتم العامل بقول (عابد)، فهو من أهل الخبرة وهذه الدنيا، لم يعد ساذجًا كما كان في بداية عمله، لم يعد خجولًا كسالف العصر والأوان.. كم من أُناس فعلوا ما فعله (عابد)، ليجد أنَّهم وضعوا قطعة حلوى، بل أنَّ بعضهم وضع مناديلًا ورقية في جيبه، وهو يحسبها أوراقًا مالية، لذلك بكل جرأة وضع يده في جيبه وأخرج أوراقًا مالية، نظر إليها في دهشة ثم نظر إلى (عابد)، قال:

- هـ.. هذه خنافس!

خنافس؟ هل بلغت الوقاحة في الناس أنْ يعطوه خنافسًا، أنَّه لا يقبل أقل من كتكوت، وهذا يعطيه ستين خُنفسًا!.. قُرابة نصف كتكوت.. هل وصل الحال بالناس إلى هذا الحد.. واستمع بصبر وتأني إلى (عابد) وهو يشكو الحياة ومتاعبها وتكاليفها.. وماذا عن حياته هو؟ بكل متاعبها وتكاليفها!..

بهدوء وضع العامل الأوراق المالية في جيب قميص (عابد)، قال:

- أنت في حاجة لها أكثر منّي.

حاول (عابد) أنْ يعتذر ويجعلها سبعين خُنفسًا، قاطعه العامل بتربيتة على كتفه، وقال بإشفاق يخفي غضبًا وخيبة أمل:

- أستاذ (عابد).. أستاذ (عابد).. أنا لا أتداول الخنافس ولا استخدمها.

حاول (عابد) أنْ.. ليقاطعه العامل من جديد:

- أستاذ (عابد).. لا يتداول الخنافس إلّا.. الخنافس..

ونظر العامل فيما حوله بحسرة.. شَقَّة جميلة وأهلها قِباح.. لم يجد بُدًّا من التوجَّه إلى باب الشَقَّة و.. ومغادرتها.. إلى الأبد.. كما يتمنَّى..

*** * ***

2- زواج يحتاج إنقاذ

تعبت الكف من رسم دوائر على بطن السَّيِّد (عبد العزيز) الكبيرة، وأوشك جلدها أن يذوب من الاحتكاك، مما جعلها تعصي الأوامر القادمة من جمجمة صاحبها، وتسقط مع يده إلى جواره، أمَّا عينا السَّيِّد (عبد العزيز) فلم تتعبا من النظر والتحديق إلى (عابد).

عابد.. ابن خالة ابنته.. ابنته! وماذا يقول عن ابنته؟.. أجمل النساء.. بل في النساء هي النساء.. لو رأها الذكور لبارت النساء.. أرقهن.. ابنته التي تسير العشب فلا تثنيه.. ابنته إذا هب النسيم ربطها إلى حزامه كي لا تطير.. أعقلهن (إلّا في أمر الزَّواج من هذا).. ابنته.. ابنته.. ابنته.. أوشكت الدموع أنْ تطفر من عيني (عبد العزيز).. ابنته تقبل الزواج من هذا الحِرْذون..

~هنا يجب أن أتكلَّم، أنا كاتب هذه السطور، نعم، أنا مثل أغلب القُرَّاء، لا أحب أنْ يظهر الكاتب في الرواية، لأنَّه ينزعنا من عالمها بقسوة ويعيدنا إلى واقع نفرٌّ مِنه إليها، ولكنَّني هنا لا أستطيع تجاوز هذا الأمر، خاصةً حين تخرج الشخصية عن طور المعقول، ابنته عادية جدًّا.. جدًّا.. هذا ما أراه بأُم عيني.. ما هذا الهُراء؟.. أجمل النساء!.. يربطها كي لا تطير مع النسيم!.. ما هذا الهُراء؟..

ولكن من باب النصيحة للقارئ الكريم، حافظ على علاقة جيدة مع خالك وزوج خالتك، لأنَّ نصيبك الضئيل من الحياة، سيجعلك - كحالي- لا تجد سوى ابنتهم تقبل (مُرغْمة) الزَّواج منك، فلا حول ولا قوة إلّا بالله~

غالب السَّيِّد (عبد العزيز) دموعه وهو ينظر إلى الحِرْذون ~عذرًا، أقصد الأستاذ (عابد)~، حِرْذون لا يملك سوى مُرتَّبه، ولا يملك خريطة انتقال خاصة، رغم عمله في جهة حكوميّة مُحترمة، لا يملك سوى شَقَّة محترمة ورثها عن والديه، شَقَّة في حي محترم، شَقَّة!.. رُبَّما هذا آخر ما يملكه لمنع هذا الزَّواج، ورمي ابنته في التهلكة، قال:

- وأين ستسكن بعد الزَّواج يا بن.. بني (عابد)؟

ابتسم (عابد) لسذاجة السؤال، أجاب:

- في شقتي يا زوج خالتي وحماي الغالي، أنَّها واسعة وتكفينا وتكفي أبناءنا.

- ابناؤكم؟!

في خجل عروس لم تعرف الرجال من قبل، أجاب (عابد):

- بالتأكيد يا عمّي الغالي، بعد الزَّواج سنُنجب أبناءً، أليس كذلك؟

صاحب سؤاله نظرة حذرة إلى زوج خالته، رُبَّما يتوقع منه أنْ يرفض الإنجاب وإفساد الأرض بذرَّيَّته، وواصلت نظرته طريقها إلى العروس التي تجلس إلى جوار أبيها، التقطت نظرته وأحنت رأسها وهي تبتسم حياءً، أنَّها وسيلته لمواجهة رفض أبيها وعنته ومغالاته في المطالب.

أوشك السَّيِّد (عبد العزيز) أن يصرخ فيه بأنْ لا يناديه "عمّي"، ولكنه تذكَّر الدُرَّة إلى جواره، فقال:

- وهل وافقت هيئة الانتقال على زواجك في شقتك؟

فُوجئ.. ارتبك.. تلعثم (عابد):

- آ.. آ.. الحقيقة يا عمّي لم أعرض عليهم الأمر بعد، و.. ولا أظنّهم يملكون سببًا للإعتراض.

- تظن؟

هتف بها السَّيِّد (عبد العزيز) أقرب للصياح، ورفع يده أمامه، هذه فرصته الأخيرة وأمله الذي يعقد عليه إبطال هذا الزَّواج، وأصدر تعليمات صوتية إلى ساعته، وظهرت الشاشة الفراغيّة، وتابع إصدار الأوامر حتى وصل صفحة هيئة الانتقال، نظر إلى (عابد)، سأل:

- ما رقم شقتك التعريفي؟

- 0903050512.

أملاه (عابد) الرقم التعريفي لشقته، وهو ينقل نظرات الدهشة من زوج خالته إلى ابنة خاله بوجهها العابس من سلوك أبيها، أنَّه دهِش من سلوك زوج خالته، ومن لهفته.

يعلم أنَّ زوج خالته (متردد) في أمر هذا الزَّواج، ولكنَّه لا يظن أنَّه يسعى لعرقلته وإفساده..

- لا يمكنك الزواج فيها.

أرادها السَّيِّد (عبد العزيز) أنْ تخرج مِن فمه عادية.. هادئة.. تقريرية.. ولكن نبرات الفرح والسرور غزت حروف كلماته.. فأظهرت شيئًا من خبايا قلبه..

وجم العريسان ~رُبَّما من المبكر استخدام هذا الوصف~، في حين دارت المعارك سجالًا بين الفرح والحزن الزائف على وجه السَّيِّد (عبد العزيز)، انتهت بالغلبة للحزن الزائف.

- مستحيل.

هذه جاءت من (عابد)، قوية.. حازمة.. وأردف:

- أنا أملك مساحة مكانية لخمسة أشخاص، وموافقة من دائرة تنظيم الانتقال وهيئة مكافحة الازدحام، وأنا وزوجتي المُفترضة ضمن المخطط الزمني للزيادة السكانية في الحي خلال العشر سنوات القادمة.

أصدر زوج خالته أمرًا صوتيًا جعل الشاشة الفراغيّة ثنائية الوجه، بحيث استطاع (عابد) أنْ يرى صفحة هيئة الانتقال، وهي تعرض صورته واسمه ورقم شقته، ورسالة واضحة:

- «لا يمكن إضافة آخرين، بلغ الازدحام الحد الأقصى في الحي المعني».

وصوت زوج خالته يقول في سرور مكتوم:

- وهل أكذب عليك؟

لأوّل مرة نطقت دُرَّة أبيها، هتفت:

- لن يفسد هذا زواجنا، سنبحث عن مكان آخر.

عاقلة هذه الفتاة، أنّها تعلم أن فرصتها في الزواج لا تزيد عن فرص الأخريات، وتدرك حقيقة نفسها بخلاف أبيها، الذي يربطها بحزامه عند هبوب النسيم.

رفع (عابد) سبابته، قال:

- سنفعل، ولكن يجب أنْ نتأكد من عدم وجود خطأ ما، أنا على يقين من أنَّ هناك خطأ ما.

بذل أب العروس جهده ليُظهر تعاطفه، رغم خذلان ابنته لمشروعه، قال:

- أتمنى هذا يا بن.. بني، عسى أن يكون هناك خطأ ما كما تقول.

نظر (عابد) حوله، سأل:

- أين خالتي و(حسام)؟

لقد تخلص منهم السَّيِّد (عبد العزيز) قبل قدومه، حتى لا يجد هذا من يقف معه ضده، قالت دُرَّة أبيها:

- خرجا في أمر وسيرجعان قريبًا.

هزّ أبوها رأسه الشحيم، قال:

- سيتأخران كثيرًا، رُبَّما إلى بعد العشاء.

رغب (عابد) في البقاء أكثر، ولكنَّ عمّه أو حماه أو زوج خالته - أيّهم سيؤول إليه الأمر- يثير الكآبة في نفسه، ورغبته في الانفراد بخطيبته لن تجد لها نصيبًا من التحقيق الآن، وضع كفيه على فخذيه استعدادًا للنهوض، قال والقنوط في عينيه.. في وجهه.. في كلماته:

- سأغادر الآن.

قالها ونهض وهو يتمنَّى أن يدعوه زوج خالته للبقاء، ولكن هذا أفسد ما يتمناه بقوله مودعًا:

- طريق السلامة يا بن.. بني.

نـهضت دُرَّة أبيها تنظر إلى أبيها وتقول:

- سأرافق (عابد) إلى المحطة.

نظر الأب لأبنته متحسِّرًا على هذا الحب لذلك الحِرْذون، وألـهمه شيطانـه ما يمكن أن يُفسد عليهما لحظات الانفراد القصيرة، قال:

- هل يتوفَّر لكِ رصيد للانتقال؟

نظرة العتاب في عيني ابنته، أخبرته إنَّها تعرف ما يقوم به، قالت:

- سأعلم من الماسح عند بوابة البناية.

غادرا الشَقَّة إلى المصعد إلى الطابق الأرضي، من قدرهما الجميل، لم يُتح لكليهما الخروج إلّا بعد عشر دقائق، لازدحام الحي.

عشر دقائق قضاها الاثنان في كلام لا يعنينا، كلام مألوف ومكرر.. لا أستطيع الحياة بدونك.. وأنا كذلك.. سأحاول المستحيل لأجد حلًّا.. وأنا سأبحث عن مكان نتزوج فيه.. أنتِ عمري.. أنت حياتي.. أنت... أنتِ... أنت... أنتِ... أنت... أنتِ...

الحمد لله فُتحت البوابة، وسارا معًا إلى المحطة.. دون تغيُّر في المضمون.. أنا.. أنت... أنا... أنتِ... نحن...

* * *

قال رئيس الأمن مُخاطبًا محافظ المدينة بأدب جم:

- كلُّ الأمور تحت السيطرة، هناك محاولات تمرّد على النظام، ولكنَّها ضعيفة من بعض الشباب، ويتم التعامل معها بحكمة.

المشكلة في النظام القهري هو مكعب القسوة الذي يحتضن هرم السُّلطة، والرغبة الوحشيَّة في إرضاء فرد السُّلطة، فكل طبقة في الهرم تخشى قول الحقيقة للطبقة التي تليها وتعمل بوحشية لإرضاء الطبقة التي تليها، وتضطر الطبقة إلى الكذب وتقليل أهمية الأزمات التي تواجهها عند رفعها للطبقة التي تليها، حتى تتجنب عواقب عجزها، عواقب قاسية تجعل الطبقة تكذب إلى حين تجد حلًّا للأزمة، وهي لا تملك سوى القسوة والوحشية لمعالجة وحسم الأمور.

وهذا من رحمة الله وفضله على العباد، فالنظام القهري ينهار دون أنْ يعلم، ويعجز عن إنقاذ نفسه، فالأمر بين الطبقات "عال يا عبد العال".

هذه الأمور جميعًا يعلمها محافظ المدينة، ويعلم أنَّ رئيس الأمن ينقل له صورة ورديّة كاذبة، لذلك جعل الصرامة تنحت وجهه، قال:

- حقًا، هل بلغ مسمع رئيس الأمن المحاولات المستمرة لإِختراق المنظومة الأمنية؟ هل بلغ مسمع رئيس الأمن محاولات العبث بخرائط الانتقال؟ هل بلغ مسمع رئيس الأمن محاولة البعض التجمهر والتحريض على القوانين ومجلس المدينة؟ هل بلغ مسمع رئيس الأمن محاولة البعض الخروج من المدينة دون تصريح؟ هل بلغ مسمع رئيس الأمن قيام البعض بتهريب أشخاص إلى خارج المدينة؟ هل بلغ مسمع رئيس الأمن الإشاعات التي تقول أنَّ المُدن الأخرى هلكت ومدينتنا تنتظر دورها؟ هل، هل، هل، لدي الكثير من الـ (هل) يا رئيس الأمن.

استمع رئيس الأمن هادئًا لمحافظ المدينة، إنَّ المسؤول يجب أن يكون قلقًا حول شيء ما، وإلَّا سيخسر موقعه، وبهدوء أجاب:

- نعم يا سيادة المحافظ، سمعت هذا كله، محاولات اِختراق منظومتنا الأمنية جميعها فشلت، ونحن نسعى لكشف من يقوم بذلك، العبث بخرائط الانتقال نسمح نحن به...

صيحة غضب المحافظ قاطعت حديث رئيس الأمن، صيحة تبعها صراخ:

- ماذا؟ تسمحون به! هل تقول أنَّكم المسؤولون عن هذا؟

لم يتغير شيء من هيئة رئيس الأمن، فليس هناك ما يستوجب ذلك، أجاب:

- نعم، نسمح به ضمن حدود معينة، لامتصاص غضب الناس وإسعادهم دون أنْ نخسر شيئًا، ومن يفعل ذلك نراقبه ونفتح له ملفًا أمنيًا، لنعرف هل ما يفعله يضرُّ بالأمن أم لا.

إجابة رئيس الأمن أفحمت المحافظ، ولم يقبل هذا بإظهار ذلك، فضرب سطح مكتبه بقبضته ليثبت أنَّه المجون، وصارمًا سأل:

- وماذا عن الأمور الأخرى؟

بسرعة أجاب رئيس الأمن:

- بخصوص التجمهر، تم إلقاء القبض على المحرضين، وكل من يحاول الخروج من المدينة بدون تصريح، تمّ تسهيل خروجه من المدينة.. إلى الأبد.

نبرة صوته أخبرت المحافظ بالمعنى الذي يقصده، ولم يُعقِّب عليه، وواصل رئيس الأمن كلامه:

- بخصوص الإشاعات حول المُدن الهالكة، فانتقال الناس إلى المُدُن الأخرى يبطل هذه الإشاعات.

لكل سؤال يحمل رئيس الأمن جوابًا مقنعًا.. مفحمًا.. مرضيًا.. أراح محافظ المدينة، لم يُظهر سروره فالنظام القهري يجب أنْ يبدو غاضبًا حانقًا طوال الوقت، حتى لا يتقاعس أتباعه عن بذل المزيد لأجله، لهذا قال المحافظ:

- لنأمل يا رئيس الأمن (الحالي) أنَّ ما تقوم به كافيًا.. وعلى الوجه الصحيح.

وأشار له بالانصراف.. فانصرف رئيس الأمن وهو يعلم أنَّ ما يقوم به لا يستطيع أحد منافسته، و(الحالي) ستتغيّر إلى (السابق).. حين تتغيّر (رئيس الأمن) إلى (المحافظ).. فالنظام القهري مجموعة من الذئاب.. قطيع وقائد.. طالما القائد.. قويًّا قادرًا.. فالقطيع منتظم منضبط.. وإلّا...

***

- مجلس المدينة.. وزارة تخطيط الإسكان.. هيئة مكافحة الازدحام.. دائرة تنظيم الانتقال.. جميعها.. جميعها قالت أنَّه لا يوجد خطأ.. وأنَّ الازدحام بلغ الحد الأقصى في الحي، ولا يمكنني إضافة آخرين.

استمع الأستاذ (ممدوح) إلى شكوى زميله (عابد)، وهما في مكتب الأخير، وشيء ما يشبه التفكير على وجهه، ولأنَّ التفكير له حتمًا نتيجة ما، أُضطر إلى قول:

- هل أنت متأكد من أنَّك كنت قادرًا على إضافة آخرين؟

هتف (عابد) والغيظ يأكله:

- خمسة.. أربعة سواي.. ليس واحدًا.. ليس اثنين.. ليس ثلاثة.. بل أربعة.

حكّت يُسرى (ممدوح) صدغه، لتحلب حلًّا أو فكرة ما من رأسه، قبل أن تيأس وتسقط لجواره، ففتح الله عليه بالقول:

- رُبَّما أخطأت أو تخيّلت هذا الأمر، رُبّما يقولون أنَّك لا تستطيع إضافة خمسة أشخاص.

هزَّ (عابد) رأسه بقوة نافيًا، وأكَّد بالقول:

- لا، أنا واثق مما رأيته، لم أتخيَّل ولم أتوهَّم، لقد حدث أمر ما غيَّر الحالة، المصيبة أنَّني لا أعرف إلى من ألجأ بخصوص هذا الأمر.

مال (ممدوح) نحوه، وبحذر سأل:

- هل أنت مُصرٌّ على هذا الأمر؟

نظر له (عابد) بوجه بلا مشاعر، قال:

- مصرٌّ! بالتأكيد، أريد معرفة ماذا حدث.

بلا داعي نظر (ممدوح) يمنة ويسرة، كأنَّه يطمئن لعدم وجود آخرين في هذا المكتب المُغلق عليهما، والحقيقة أنَّه يريد إظهار أهمية ما سيقوله،

ليُحمّل زميله معروفًا للمستقبل، أكمل إجراءات إظهار أهمية ما سيقوله، خاتمًا بالميل نحو زميله والهمس:

- أعرف رجلًا يقوم بهذه الأمور...

لم ينتظر (عابد) إكماله كلامه، بل قاطعه ملهوفًا:

- حقًا، هل يستطيع معرفة ما حدث؟

كان رد فعل (ممدوح) على المقاطعة، هو إغماض عينيه بقوة، وعبس بوجهه طلبًا للصبر من زميله والتمهُّل، حتى أوشك خداه على الالتصاق بعينيه، كأنَّ (عابد) قاطع تجربة حسَّاسة في مرحلتها السادسة، والحقيقة أنَّه لا يرغب منه في إفساد أهمية ما سيقوله، قال:

- الصبر.. الصبر.. الصبر يا أستاذ (عابد)، نعم، يستطيع فعل ذلك وأكثر، يستطيع أنْ يعرف ما إذا قام أحد ما بتعديل البيانات، يستطيع أن يضيف لك ما تشاء من الأشخاص.

توقف هُنيهة، وزاد الهمس همسًا:

- يستطيع أنْ يصنع لك خرائط انتقال، بحيث تذهب أينما تشاء وقتما تشاء، يستطيع أنْ يُخرجك من المدينة إلى الأرياف أو حتى المُدُن الأخرى، والبقاء فيها.

مدهوشًا قال (عابد):

- أيستطيع فعل هذا كلّه؟

سُرَّ (ممدوح) بدهشة زميلة، وأكّد حديثه:

- نعم، يستطيع فعل ذلك كلّه، والمشكلة في..

قطع حديثه لإضافة إثارة سينمائيّة، تفاعل معها (عابد) بالتحديق إليه، ولهفة واضحة على وجهه، وانفراج شفتيه، فأكمل:

- المشكلة هي أنَّه لا يتعامل إلّا بالنمور و..

عند هذه الكلمة سقط (عابد) من السحابة التي تحمله إلى عنان السماء، إلى واد سحيق في (أريحا)[2]، بُهت.. صمت.. كرر:

- نمور!

إنَّ عالمه يدور حول الخنافس والديوك.. نمور! يملكها؟.. نعم.. يتعامل بها؟.. لا.. الخراف؟.. بحذر شديد.. ماذا حدث في هذا العالم؟.. حتى عامل إصلاح الباب لا يتعامل بالخنافس! بالديوك فما فوق.. حتى البطّ لا يتعامل به الكثيرون.. المجتمع انقسم إلى قسمين، قسم الديوك وقسم النمور.. الخنافس لا يتعامل بها سوى أمثاله رغم أنَّها تشتري أشياءً لا بأس بها، بسيطة نعم.. ولكن لا بأس بها.. البط والخراف؟.. يستعملونها ككسور فقط.. ماذا حدث في هذا العالم؟!..

أدرك (ممدوح) صدمة زميله، وكُشِف له جانبًا من زميله لم يعرفه من قبل، رُبَّما لأنَّه لم يتعامل مع هذا الجانب من قبل.. الجانب المالي.. زميله (عابد) بخيل.. أو هو شديد الحرص..

ساد الصمت برهة، قبل أنْ ينطق (عابد) بصوت أبحّ:

- هل.. هل هذا.. هذه.. هذا سعر نهائي أم قابل للتفاوض؟

[2] أريحا مدينة في فلسطين، تُعتبر أكثر مُدن العالم اِنخفاضًا عن سطح البحر.

نظر (ممدوح) إليه نظرة من يرى كائنًا لأوّل مرة، وبتؤدة أجاب:

- كل شيء قابل للتفاوض يا أستاذ (عابد)، أنا أتحدث إليك عن مستوى أسعاره، هذا الرجل يتعامل بالنمور فما فوق، رُبَّما لأنَّه لا يوجد سواه، أو أنَّه يجيد عمله.

برجاء تطفر منه الدموع، سأل (عابد):

- ألا يوجد سواه؟

أشارت يدا (ممدوح) بأنَّها لا تعلم، وأفصح لسانه:

- إنْ وُجد فلا أعلمه، هذا المجال خطر جدًّا، ولا يعمل فيه إلّا قلة قليلة بسرّية تامة، وبعيدًا عن أعين الحكومة.

أُغلق الباب في وجه (عابد)، ولم يجد سوى:

- إذًا لا يوجد سواه؟

لم تتغيّر نظرة زميله (ممدوح) إليه، وأجابه:

- قلت لك لا أعلم، أنا أعرف هذا الرجل فقط.

- هل.. هل فعل لك خدمة ما من قبل؟

خالفت نبرة (ممدوح) كلماته حين قال:

- أنا.. أنَّا رجل سعيد في حياتي.. وأموري تسير على ما يرام، ولا يوجد فيها ما يدفعني إلى ذلك الطريق، أنا.. أنا رجل الحكومة المُخلص.

نظر له (عابد) في ريبة، وبحث بدقة عن ذلك الإخلاص، لعلّه يجده في إحدى ثنايا وجه زميله، أو دفينًا في مسامه، فلما اطمأن لعدم وجوده، قال:

- رجل الحكومة المخلص! يساعد على مخالفة الحكومة!

نفى (ممدوح) بإخلاص:

- لا، وألف لا، أنا أساعدك فى تجاوز "التناحة" الحكومية فقط.

حان دور (عابد) ليميل نحو زميله ويقول:

- دعك من اللف والدوران، أنا حبيبك (عابد)، هل يستطيع الرجل أنْ يخفض سعره إذا جئته من طرف رجل يعرفه؟

أجابه الأسف على وجه (ممدوح) بأنَّ هذا محال، ولم يرغب (ممدوح) في تحطيم أمل زميله، خاصة أنَّه انتقل من منزلة الزميل إلى منزلة الحبيب، فقال:

- لم لا تعرض عليه الأمر؟، رُبَّما يكون سعر خدمتك يسيرًا.

لوهلة لم يجبه (عابد)، ثم وجد أنَّه لن يخسر شيئًا، قال:

- حسنًا، كيف أصل إليه؟

ابتسم (ممدوح) من سذاجة زميله، أجاب:

- أنت لا تصل إليه.. هو من يصل إليك.

بدهشة، سأل (عابد):

- كيف؟

مرة أخرى نظر (ممدوح) حوله، ومال ميلًا عظيمًا نحو زميله (عابد)، حتى أوشكت شفتاه على خضم أذن (عابد)، وبهمس أقرب إلى الوحي، قال:

- أعطني عدة أيام.

* * *

3- الثورة

ارتفع مبنى المحافظة عاليًا شامخًا، وهو يطل على المدينة بكبرياء وعنجهية، ولم يهتم بسهام نظرات رئيس الأمن التي تحطمت على جدرانه القويّة، والأخير يواصل إطلاقها عليه من نافذة مكتبة الأنيق في الطابق الأخير من مبنى الأمن في الجانب البعيد من المدينة.

- سَيِّدي؟

نحْنحة تبعتها هذه الكلمة، انتزعتا رئيس الأمن من حالته، وجعلته يلتفت الى نائبه متسائلًا:

- ماذا هناك؟

أجابه نائبه بسرعة:

- لقد ألقينا القبض على مثيري الشغب وزعيمهم، ورغبت في إطلاعك على الأمر.

نظر إليه رئيس الأمن والجليد في ملامحه، وسار برزانة جمل في الصحراء إلى مكتبه.. جلس على مقعده.. وضع مرفقيه على مكتبه.. عقد كفيه.. اتكأ بذقنه عليهما.. أطلق بصره في فراغ مكتبه.. وأطال التفكير.. هُنيهة.. بُرهة.. بُرهتان.. وثُلاث.. ورُباع.. وخُماس.. ولكن قضقضة عظام نائبه انتزعته من أفكاره، التفت إليه، قال:

- أريد منك إجراء تحقيق صارم معهم، وحاول أنْ تجد لهم مخرجًا من الاعتقال، باستثناء زعيمهم، احتفظ به في السجن، وانتزع منه جميع المعلومات.. بكل الوسائل.

خُيّل إلى النائب أنَّه لم يفهم رئيسه، استفهم:

- نجد لهم مخرجًا من الاعتقال؟!

- نعم، جِدْ لهم مخرجًا صحيحًا ودقيقًا ولا يثير الشبهات.

مرة أخرى كرر النائب كالأبله:

- لا يثير الشبهات!

وتدارك نفسه، فشدّ قامته ليظهر همَّته، سأل:

- وزعيمهم؟ هل.. هل نتركه بعد انتزاع المعلومات؟

تأمل رئيس الأمن نائبه بعين صقر ينظر فرخه، قبل أنْ يجيبه:

- نعم، أطلق سراحه في احتفال عظيم، مع مأدبة عظيمة ندعو إليها المدينة.

وقبل أنْ يفطن النائب إلى الهزء في كلام رئيسه، واصل الأخير بسخط:

- ما بك؟ كيف نطلق زعيمهم؟! كلّا، سنحتفظ به السجن.

لم يفهم النائب شيئًا من ألغاز رئيسه، سأل والحيرة حاله:

- ألن يؤدي إطلاق سراحهم لعودة الشغب؟

أجابه رئيس الأمن:

- بدون زعيمهم، سيحتاجون بعض الوقت لترتيب أمورهم، والعودة إلى ممارسة نشاطهم، كما أنَّهم يعلمون أنَّنا سنراقبهم، لذا سيقومون بتقليل نشاطهم أو إيقافه مؤقتًا.

بحذر كفيف في حقل ألغام، سأل النائب:

- ألن يختاروا لهم زعيمًا آخرًا؟

- بلى، سيختارون زعيمًا آخرًا لهم.

لا يعلم نائبه ماذا يقول، فوجد الصمت هو التعقيب الحكيم على قول رئيسه، الذي واصل حديثه:

- ولكنّه زعيم نرضاه نحن.

لم يتكلم النائب.. لم يُعقِّب.. رُبَّما لأنَّه لا يفهم مُراد رئيسه.. لماذا لم تعد الوسائل التقليدية تُجدي نفعًا مع مخالفي القانون؟.. اعتقال.. تحقيق بوسائل تجعل الحجر يثرثر بقصة خلقه.. سجن طويل الأمد.. سكتة قلبية.. قضاءً وقدرًا.. استخراج أوراق الوفاة.. ماذا حدث في هذا العالم؟.. لماذا لم تعد الوسائل البسيطة المباشرة تُجدي؟.. لماذا هذه القسوة؟.. لماذا هذه المعاناة؟.. ماذا حدث في هذا العالم؟.. هل أصابه الجنون؟.. حتمًا أصابه الجنون..

* * *

بعد خمسة أيام من اجتماع (عابد) وزميله (ممدوح)

* * *

أغلق (ممدوح) باب مكتب زميله (عابد) بإحكام، ثم توجَّه إلى المقعد ليجلس قُبالة زميله أمام مكتب الأخير، مال ميلًا عظيمًا وهمس:

- وش.. وش.. وشوش.. وش.

لم يسمع (عابد) شيئًا مما قال، لذلك قال بصوته المعتاد:

- ماذا؟

قفز (ممدوح) من مقعده واقفًا، ونظر حوله بذعر، قبل أنْ يجعل وجه زميله قبلته، ويضع سبابته على شفتيه وهو يقول:

- صَهْ صَهْ، اسكت.. اسكت.. الله يرحم والديك، لا تُلق بنا في جهنَّم..

لا يعلم (عابد) كيف ستُلقي بهم (ماذا) في جهنَّم، وإذا كانت هذه المقدمات، فماذا عن الخواتيم؟

لذلك دبَّ الذُعر في قلب (عابد)، هتف واقفًا في ذعر:

- ماذا؟.. ماذا فعلت؟

أدرك (ممدوح) أنَّ ذعره الفائض عن الحد انتقل إلى زميله الذي واصل:

- لا أريده.. لا أريده..

ما شغل (ممدوح) وكبح شيئًا من ذعره، هو القاعدة التجارية "إذا أفلت الزبون أفلتت معه العمولة"، والعمولة في هذا العمل بالخراف.. وخروف على خروف يصبحون قطيعًا، وكل عشرة خراف يشكلون نمرًا.

لذلك مد ذراعيه.. باسطًا كفَّيه.. أمام وجه زميله (عابد)، مهدئًا إيَّاه ولسانه يقول:

- اِهْدأ.. اِهْدأ.. اِهْدأ يا (عابد)، لا يوجد داعيًّا للقلق، سامحني إذا أفزعتك.. ولكن هذا العمل يحتاج السرّية التامة.

واحتاج الأمر منه نصف ساعة حتى استطاع بثّ الطمأنينة في قلب (عابد)، وإعادة الثقة إليه.. أوشك الزبون أنْ يطير..

- تذهب إلى صفحة وزارة الشؤون الإجتماعية، ومن ثمّ إلى صفحة المتسوّلين...

قاطع (عابد) زميله بدهشة:

- المتسوّلون!

اتخذ (ممدوح) هيئة المُنزعج من المقاطعة، أغمض عينيه بقوة.. زمَّ شفتيه.. شدَّ خديه إلى عينيه.. صمت صمت المُتأفف.. استغرقت هذه الهيئة نصف دقيقة كاملة، حتى يُدرك الأستاذ (عابد) حجم الجريمة التي ارتكبها بمقاطعته..

- نعم يا سَيِّدي.. متسوِّلون، الحكومة تسمح بالتسوِّل تحت إشرافها ضمن خدمات الشؤون الإجتماعية، طالما تتوفر لدي المُحْتاج الشفافية وكشف تفصيلي بكل ما يحصل عليه من الناس، ويخضع للنظام الضريبي.

لم يتوقف عند دهشة زميله، أو يدخل في تفسير محاسن وعيوب هذا النظام، بل واصل حديثه:

- في صفحة المتسوّلين، ستجد عناوين صفحات المتسوّلين، كلّ متسوِّل له صفحة، ابحث عن صفحة عنوانها "كان زمان وجَبَر"..

- "كان زمان وجَبَر"؟!

لم يتوقف (ممدوح) عند مقاطعة زميله، وإنْ شعر بأنَّ زميله مُصاب بنوع من البلاهة، واصل حديثه:

- نعم، هذا صحيح، انقر على رابط الصفحة، دعك من كل ما فيها، واحتفظ بالرقم التعريفي في ركن الصفحة الأيسر من أعلى، الآن اترك هذا كله وابحث عن مَتْجر"أفراح أم تيسير للمخبوزات"...

- هل هو متجر مشهور؟

- كل هذا ستفعله وأنت جالس في مكتبك أو بيتك أو أي مكان يحلو لك، بواسطة ساعتك أو أي جهاز تُفضّله، فجميعها سواء، تقوم بشراء كعكة من صفحة المَتْجر، اخترْ كعكة لا يقل ثمنها عن ثلاثة ديوك...

شهق (عابد) بفزع، وبلوعة هتف:

- كعكة بثلاثة ديوك؟! لماذا؟ هل تُصنع من الذهب؟

مرة أخرى طلَّ هذا الجانب من (عابد) على (ممدوح)، (ممدوح) لا يحب هذا الجانب.. أنَّه قبيح.. ويؤثر على العمل والعمولة.. لن يُسر الرجل بزبائن كهذا.. هذا يضر بصورته عند الرجل.. ولن يثق فيه أو في من يحضرهم له.. و..

- نعم، كعكة بثلاثة ديوك، الرجل يحتاج إلى معرفة أنَّك قادر على تكلفة خدماته، لا تستطيع شراء كعكة بالديوك!.. إذًا لا تستطيع شراء خدماته بالنمور.

استوعب (عابد) وجهة نظر زميله، رغم اعتراضه عليها، لا يستطيع التخلي عن شَقَّتة الثمينة، التخلي عنها يعني رحلة بحث شاقّة، قد تنتهي بالإخفاق، أو الانتقال إلى مناطق مزدحمة أو أحياء شعبية، هناك الازدحام وخرائط انتقال وعرة وفترات انتظار طويلة، والأبواب.. وما أدراك ما الأبواب في تلك المناطق!.. أنْ لم يقتلك فلن يُفتح.. فإنْ فُتح فليس في الوقت المناسب..

من اخترع فكرة الأبواب؟ لقد جعل..

أكمل (ممدوح) حديثه ليقطع عليه أفكاره، قال:

- سيطلب منك المَتْجر رقمك التعريفي والرقم التعريفي للمُرسل إليه، هذا كل ما عليك القيام به..

- ثمّ؟

- ثمّ تنتظر حتى تأتيك منه رسالة تقول "شكرًا، هديّة لذيذة، سأهديك أفضل منها"، وهذا يعني أنَّه رضي بمقابلتك، وسيقابلك قريبًا، أما إذا كانت الرسالة هي "شَكرًا، أكْثَر الله من أمثالك "، فهذا يعني أنَّه لن يقابلك.

- ولماذا قد يرفض مقابلتي؟

فتح (ممدوح) ذراعيه على اتساع وبسط كفيه كمن يريد أنْ يبتهل، وأجابه:

- من يعلم؟ رُبَّما وجد شيئًا يمنعه من لقائك.

في قلق، سأل (عابد):

- شيء مثل ماذا؟

قلبه خفيف جدًّا (عابد) هذا.. وكأم تشجِّع ابنـها على ابتلاع قرص دواء، قال (ممدوح):

- الله أعلم، لا تقلق، نـادرًا ما يحدث هذا، الآن.. هيا ابحث عن صفحته وابدأ العمل..

تردد قصير، تبعه نـهوض (عابد) ليدور حول مكتبه، ليجلس على المقعد خلف مكتبه، أصدر أمرًا صوتيًا لتنبثق شاشة فراغيّة فوق سطح مكتبه، وباشر بـ.. بالعمل..

* * *

- يجب أنْ نُوقف عملنا بعض الوقت!

نطقها أحد الجالسين إلى مائدة صغيرة في مقهى في وسط المدينـة، وعقَّب آخر:

- الطريقة القديمة للعمل لا تُجدي، لا بد من طريقة أفضل.

قال ثالث:

- لفت انتباه النـاس إلى الأبواب بالتجمهر والإعلانـات الورقية لا يُجدي نفعًا.

الأوّل:

- ماذا نفعل إذا؟ لا يُسمح لنا بنشر إعلانـات على الشبكة العامة، وجميع الصفحات الشخصية تخضع للرقابة الشديدة!

رابع:

- والمُبدع لا يمكن الوصول إليه، ولا نعلم هل سنلحق به قريبًا أم لا؟

الثالث:

- لم نُستدعى بعد، وهذا يعني أنه صلب ولم ينكسر بعد.

الأوّل:

- يجب أنْ نبحث عن طريقة أخرى للعمل، سنُوقف العمل حتى نعلم أخبار المُبدع، وحتى نجد طريقة أُخرى أفضل.

الثاني:

- شارف وقتي على الاِنتهاء، يجب أنْ أُغادر المنطقة الآن، والسؤال الذي يجب معرفة جوابه، ماذا سنفعل إذا غاب المُبدع لمدة طويلة؟

الأوّل:

- لا يمكن البقاء بدون مُبدعٍ، إذا طال غيابه سنبحث عن آخر.

نهض الثاني وهو يقول:

- آخر؟ من يكون؟

الأوّل:

- سنختاره حين يحين وقته.

هُرع الثاني إلى خارج المقهى وهو يُلقي إليهم بالسلام، وقال الثالث:

- حقًا، من سيكون المُبدع؟

زجره الأوّل:

- دع هذا إلى وقته، المهم الآن هو التوقف عن أي نشاط، ولنحاول معرفة أخبار المُبدع.

الرابع:

- وكيف السبيل إلى ذلك؟

الأوّل:

- سنجد طريقة لذلك، المال يفتح جميع الأبواب، المهم أنَّنا سنُوقف عملنا إلى حين جلاء الأمور.

نهض الثالث وهو يقول:

- سندخل في بيات شتوي إلى حين، يجب أنْ انصرف الآن، خريطة انتقالي طويلة معقدة.

صافح الآخرين على عجلة، وهُرع بدوره للخارج..

قال الرابع:

- بدون وسيلة فعَّالة لنشر الحقيقة بين الناس، فكُلّ ما نفعله هُراء.

الأوّل:

- وما هي الحقيقة التي ترغب في نشرها بين الناس؟

لوهلة ارتبك الرابع.. تلعثم:

- حقيقة.. الأبواب..كذبة الازدحاَم.. المدن.. التي.. التي يقولون أنَّها موجودة.. ولا يستطيع أحد الوصول إليها.. ومن يذهب لا يعود.. ل.. لماذا.. لماذا لا نرى من نظام الدولة سوى المُحافظ ورئيس الشرطة والشرطة؟.. أين الرئيس؟.. أين الوزارات؟.. أين الجيش؟.. بل أين الأرياف؟.. من أين

يأتي طعامنا؟.. كيف أصبحت التفاحة في حجم بطِيخة؟.. والحمامة في حجم الدَّيك الرومي!.. من أين يُؤتى بمائنا؟.. هناك أسئلة كثيرة..

أعطاه الأوّل نظرة رجل ميت، سأل:

- وهل تملك أنت الإجابة؟

غاص الرابع في وحل الاِرتباك، وتلعثم أكثر:

- لـ.. لا.. لا أملك إجا.. إجابات.. و.. ولكن.. ولكنَّنا نبـ.. نبحث عن.. عنـها.. و.. ونحضُ الناس.. ع.. على البحث عنـ.. عنـها..

بهدوء يليق بميت، قال الأوّل:

- أنا أعرف الإجابة.

بدهشة.. بارتباك.. بتلعثم، سأل الرابع:

- تعرف.. الإجابة؟!!!

هزَّ الأوّل رأسه بإشفاق جعل الرابع يهتف:

- وما هي؟

كأنَّه يقرأ خبرًا في عيني الرابع، أجاب:

- إنَّ هذا كُلّه غير موجود، كُل شيء انتهى.. اندثر.. لم يبق سوانا.. لم يبق سوى هذه المدينة..

*** * ***

4- الخبير والبديل

مرَقَ (عابد) من باب شقته والتفت إليه، وراقبه وهو يُغلق بهدوء، أغلق الباب الخشبي وسار متمهلًا إلى حجرة نومه، و.. وصوت حركة في مطبخه.. جعله يجمد في مكانه، كتمثال أبي الهول بعد غروب الشمس..

لص؟.. لا يمكن.. الأبواب.. خرائط الانتقال.. أنظمة الرصد والرقابة.. كل هذا قضى على الجريمة.. تمامًا.. من يكون هذا؟.. من؟.. لماذا من؟.. رُبَّما يكون فأرًا؟.. فأر؟.. في هذه البناية؟!.. في هذا الحي؟!..

بحذر أشعل نظام الأمن في ساعته، كي تستطيع الشرطة مراقبة ما يحدث في شَقَّته.. وبحذر سار نحو المطبخ.. انتبه إلى أمرٍ لأوَّل مرة.. المطبخ مُضاء.. أنظمة توفير الطاقة لا تضيء المصابيح إلَّا في وجود البشر فقط..

مرة أخرى عادت إليه فكرة اللص والجريمة.. الـ.. الحركة في المطبخ توحي بوجود كائن.. كائن عاقل.. كائن يتحرك بحرية.. بثقة.. لا يبالي باكتشاف أمره.. كمن يتحرك في بيته..

- من هناك؟

أرادها (عابد) أنْ تخرج من فيه قوية.. صارمة.. ترتعد لها فرائص من في المطبخ.. فيولي الأدبار بعد أنْ يتوسّله الرحمة ويقسم بأعظم من في الوجود أنَّه لن يعود أبدًا..

ولكنَّها خرجت ضعيفة.. متحشرجة.. متوسلة.. ترجو من في المطبخ أنْ يأخذ كُلّ شيء.. ويذهب به..

وجاءه الجواب.. هادئًا.. مُدهشًا.. مُذهلًا.. مُطمئنًا..

- هذا أنا يا (عابد).

صوت صديق.. يناديه باسمه مجردًا.. بلا ألقاب.. صديق؟.. من هو؟.. وكيف دخل شَقَّته؟.. قريب؟.. الأسئلة تكرر نفسها.. من؟.. كيف؟..

عمومًا الصوت الهادئ المُطمئن أعطاه جرعة من الشجاعة، فتقدم إلى المطبخ، ومن بابه رأى رجلًا متوسط الطول.. سمين الجسد.. شحيم الوجه..

انهمك الرجل في وضع قطعة كعك في طبق صغير مع شوكة، والتفت إلى (عابد) قائلًا:

- كيف حالك يا صديقي؟

صديقي؟!.. مستحيل أنْ يُصاحب كتلة الشحم هذه.. هذا يحتاج إبريق شاي له وحده.. هذا إذا تحدثنا عن اللقاءات السريعة الخاطفة.. ولأنَّ الصداقة تستوجب مناصفة تكلفة إبريق الشاي.. فحتمًا هذا الرجل ليس صديقه.. أنَّه لا يصاحب إلَّا الكُرماء.. أو من لا يشربون الشاي.. ولا كُرماء في هذا الزمان.. والجميع يشرب الشاي.. إذًا؟.. لا أصدقاء له.. كيف أصبح هذا الرجل صديقه؟..

وسار الرجل إلى مائدة صغيرة في وسط المطبخ، وقعد على مقعد لها، ووضع طبقه عليها، الطبق الذي يحتوي قطعة كعك تشبه الكعكة التي اشترها منذ أسبوع، وكلَّفته ثلاثة ديوك ومئتي خُنفس..

انهمك الرجل في تناول الكعكة، وهو ينظر له بهدوء.. ودون أنْ ينبس ببنت شفه.. و(عابد) يبادله نظرات خرصاء من مكانه على باب المطبخ..

بعد ربع ساعة من الأكل والنظرات والنظرات الخرصاء، أنهى الرجل كعكته ووضع الشوكة جانبًا، قال:

- شكرًا، لقد كانت كعكة لذيذة.

لوهلة لم يفهم مغزى كلامه، ثم فطن إلى الأمر كله، هذا.. هذه عينا رجل يعمل في الأنظمة الأمنية.. وجهه.. شعره.. أنفه.. أذناه.. شفتاه.. عنقه.. جسده.. كل شيء فيه يقول أنَّه رجل يعمل في الأنظمة الأمنية.. وخاصة اختراقها..

علم الرجل أنَّ (عابد) عرفه، ابتسم وأشار إلى المقعد المقابل، وبكرم صاحب البيت، قال:

- اجلس يا (عابد)، بيتك ومطرحك.

"اجلس يا (عابد)، بيتك ومطرحك"؟!!!.. هذا الرجل يطبق حرفيًّا المقولة "ضيفنا لو جئتنا، لوجدتنا نحن الضيوف، وأنت رَبُّ المنزل"..

بتردد عصفور تدعوه أفعى للغداء، تقدم (عابد) إلى المقعد، و.. جلس على.. الأشواك.

استحضر خبير الأنظمة الأمنية الخطوات المطلوبة لطمأنة الزبون من كتاب "التجارة فن وعبارة".. ابتسامة واسعة تكشف عن أسنان بيضاء في إعلان لمعجون أسنان جديد.. عينا قطة تلعب بكرة صوف وقت الضُحى.. صوت أم تُربِّت على طفلها لينام بعد الظهيرة..

وبحنان قال خبير الأنظمة الأمنية:

- والآن.. ماذا هناك؟

كاد (عابد) أنْ يقول له "ماما، أنت عدت إلى هذه الدنيا؟"، لولا تذكره أنَّ الأموات لا يعودون، وأمّه حتمًا لا تشبه هذا في شيء.. حتمًا لا تشبهه.. حتمًا..

بكلمات بطيئة شرح له (عابد) ما حدث، وختم بقوله:

- أريد أنْ أعلم ما حدث، كيف لم يعد بمقدرتي إضافة أشخاصًا آخرين؟

نظر خبير الأنظمة الأمنية إلى المائدة نظرة من يرى مائدة لأوَّل مرة في حياته.. ثم كفَّ عن هذا، ونهض متجهًا نحو رف الآنِية، وتناول إبريق الشاي، وبدأ بإعداد.. الشاي..

- لأنَّ هناك من فعل هذا كي يستطيع الاستيلاء على شَقَّتك يا أستاذ (عابد).

الجواب الهادئ من خبير الأنظمة الأمنية - وهو يضع الأكواب على صينية سيراميك- جعل (عابد) يثب من مقعده، ويهتف:

- ماذا؟ هناك ماذا؟ من فعل ماذا؟ لماذا؟ من هو؟

استدار إليه خبير الأنظمة الأمنية، قال:

- لا يهم من فعلها، لقد دفع الكثير لأجل ذلك، ولا يمكن التراجع.

- لماذا لا يمكن التراجـ..

وقطع (عابد) سؤاله، ونظر إلى خبير الأنظمة الأمنية شزرًا، فحَّ:

- ن... نن... انن... انت..

وانطلق لسانه من عِقاله، صرخ:

- أنَّه أنت.. أنت من فعل ذلك.. أيُّها الوغد.. أيُّها اللعين..

لم يهتم الخبير بصراخه، واستدار يُكمل إعداد الشاي..

- سأبلغ الشرطة.. ومكافحة الازدحام.. وتنظيم الانتقال.. سأبلغ الدنيا بأعمالك غير القانونية.. لدَيَّ شهود يا صاحبي.. عندي أدلة يا صديقي.. لقد انتهت أيام عملك السعيدة، ستقضي أيامك المُتبقية من حياتك في السجن يا عزيزي..

انهمك الخبير في البحث في الخزائن العلوية عن بعض الكعك أو المُعجنات، لم يجد شيئًا، هذه علامة سيئة في العمل، اتجه إلى الثلاجة وهو يستمع إلى الزبون الذي جعله صاحبه وصديقه وعزيزه..

- استعد لنهاية حياتك الآثمة.. دعني أخبرك يا حبيبي الغالي أمرًا قد نسيته.. لقد قمت بتشغيل خط الاتصال بالشرطة.. الشرطة الآن تسمع وترى كل ما يحدث في الشَقَّة..

وضع الخبير الإبريق على الصينية وسار بحمله الخالي من المُعجنات إلى المائدة، قعد.. وبهدوء سأل:

- كيف تحب السكر على الشاي؟

بُهت (عابد) من السؤال.. من هدوء الصوت.. من لا مبالاة الخبير.. نظر إليه نظرة لا تصفها كلمات.. كانت ثوانٍ قصيرة انتهت بعودته للسُعار:

- ألم تسمعني؟ لقد انتهيت يا صديقي.. ستدفع ثمن ما فعلته بي وبكل من دمرت حياتهم وكل من عبثت في أمورهم.. انتهى.. النهاية.. تمت بحمد الله..

صبَّ الخبير الشاي في كأسين، وضع السكر وأكثَّر منه في كأس (عابد)، إنَّ أعراض نقص السكر ظاهرة على الزبون، وهذا قد يفسد العمل خاصة في المرحلة الحرجة.. مرحلة المساومة على السعر.. إنَّ كتاب "التجارة فن وعبارة" قلمًا يُخطئ..

بهدوء سأل الخبير:

- ما رأيك في شَقَّة في الحي العاشر في الطابق العشرين؟

أراد (عابد) أنْ يواصل جعجعته وصراخه وتهديداته، ولكن هدوء الخبير.. عدم مبالاته.. السؤال الأخير.. كُلّ هذا جعله يتوقف، ليقول مَبهُوتًا:

- ماذا؟

- ما رأيك في شَقَّة في الحي العاشر في الطابق العشرين؟

- ماذا تعني؟

بحسرة أخرج الخبير قطعة أُخرى من الكيك من الصندوق الورقي أسفل المائدة، إنَّ هذه الكيكة له، ولا يجلبها معه إلَّا من باب التورِية والإشارة، لا أنْ يشاركها الآخرين..

وضع القطعة على الطبق الصغير وقسمها بكرم حاتمي إلى ثلاثة أقسام، اثنان له والثالث.. للزبون، لا يمكنك تطبيق كل ما ورد في كتاب "التجارة فن وعبارة" حرفيًا..

وضع قطعة في فمه، وتلذذ بطعمها الرائع مع لهفة الزبون الذي ينتظر الرد على سؤاله، ازدرد آخرها مع رشفة من كأس الشاي، لقد نسي ووضع سكر في كأسه، وهذا أفسد الطعم الرائع للشاي بدون سكر مع الكيك، قال:

- أعني أنَّه في حالة إتمام هذه الصفقة، فستكون تلك الشَقَّة من حقك.

شَقَّة في الحي العاشر في الطابق العشرين ستكون أفضل من شَقَّته عشر مرات على الأقل، والشرط واضح "في حالة إتمام هذه الصفقة"، لا صفقة.. لا شَقَّة.. استفزَّه الأمر، فقال (عابد):

- هل تُكرهني على عمل صفقة معك؟ ألم تسمعني وأنا أقول لك أنَّ الشرطة تراقب وتسمع كُلّ شيء في شَقَّتي؟

كف الخبير أشارت له بأنْ لا يهتم بذلك، أما لسانه فقال بغير اهتمام:

- سمعتك، والآن ماذا تريد؟

بدهشة سأل (عابد):

- ماذا أريد؟

بحَنق.. بغضب.. أرعد:

- أريد شَقَّتي أيُّها النصاب.. أيُّها المُحتال.. أريد شَقَّتي..

هزَّ الخبير رأسه في أسف، قال:

- هذه الشَقَّة ملكك، وستبقى ملكك..

قاطعه (عابد) بغضب:

- وما فائدتها حين لا استطيع الزواج فيها؟ ما فائدتها إذ لا استطيع إحضار آخرين للسكن معي؟ لن أبقى عزبًا أو وحيدًا طوال عمري.

رشفة شاي ورد:

- قلت لك، هناك بديل.. بديل أفضل..

ومال ناحية (عابد):

- عابد، أردت أنْ تعرف ماذا حدث وقد عرفت، ثمن هذه الخدمة نمر وخمسة خراف، تريد الشَقَّة التي أخبرتك عنها، ثمنها ستة نمور وسبعة خراف، هل هناك شيء آخر استطيع فعله لأجلك؟

لا بد من الكسور، حتى يُدرك الزبون أهمية السلعة وثمنها، وتكون المُساومة في الكسور فقط، لقد أبدع مؤلف "التجارة فن وعبارة"، الغريب أنَّه فشل في ممارسة التجارة فشلًا ذريعًا.

زمجر (عابد):

- أريد شَقَّتي، ولن أدفع لك حتى خُنفسة واحدة.

نظر إليه الخبير هُنيهة، ووضع كفيه على المائدة لتصنع رافعة ترفع جسده عن مقعده، نهض.. نظر.. غادر..

*** * ***

تابع الضابط الصور وهي تمر أمامه مقرونة بأسماء أصحابها وأعمالهم، ومساعده يقوم بتقليب الصور ويقول:

- هذه صور جميع المتورطين في قضايا تخالف قانون الطوارئ.

استمر التقليب بضع دقائق، ليعود المساعد ليقول:

- عمَّ تبحث بالضبط؟

استمر صمت الضابط برهة، دون أن يفتر من متابعة الصور، وبصوت غارق في التفكير، قال:

- أبحث عن زعيم.

التفت إليه مساعده مدهوشًا، وتعجب:

- زعيم!

بعد نظرة قصيرة، تابع:

- ولماذا؟

هذه المرة أجابه الضابط بعد برهة أطول:

- ليقود ثورة.

أطار الجواب صواب المساعد، هتف:

- ثورة! ثورة ضد من؟

- لا يهم الآن، المهم العثور على الزعيم، ثم نفكر في الثورة، ومع مَن ضد مَن.

شعر المساعد بعنقه يوشك على الخروج من جسده، فعاد يلتفت إلى الشاشة الفراغيّة، وساد الصمت بُرَه، ليقطعه المساعد من جديد:

- هل تبحث عن مواصفات معينة؟

أتاه الجواب على لسان الضابط بعد حين:

- شخصية يُمكن الوثوق بها، نظيفة اليد، قليلة الشعبية، وأفضل بلا شعبية، أصدقاؤها قلّة، ليست عنيفة ولكن يمكن توقع العُنف منها.

التفت إليه مساعده من جديد، وهتف متسائلًا:

- ولماذا نبحث عنها في ملفات مخالفي القانون؟

- لأنَّنا نريدها أنْ تخضع لنا.

بدهشة عقَّب المساعد:

- ولم لا نفعل كالمُعتاد؟

وأجاب نفسه:

- لماذا لا نختار من نشاء، ثم نختلق له قضية تناسب حاجتنا؟

هذه هي العبقرية الفذَّة للنظام القهري، الخطة القديمة الجديدة، منذ فجر التاريخ إلى أنْ يرث الله الأرض وما عليها، و.. وأفسد الضابط الخطة العبقرية، بهزِّ رأسه في قوة، ويقول:

- كلَّا، يجب أنْ يعلم يقينًا أنَّه خالف القانون، ويعلم أنَّ عقوبة جريمته هي الإعدام أو النفي أو السجن المؤبد.

والدهشة لا تجد فرصة لتركه، قال المساعد:

- وكيف نجمع بين هذا ونظافة اليد؟ هذه العقوبات خاصة بجرائم القتل أو العبث بخرائط الانتقال أو توزيع الازدحام، والجريمة نادرة، وغالبًا يتم تنفيذ القصاص في فترة قصيرة، وخرائط الانتقال لا يمكن اختراقها أو العبث بها!

بسخرية أشار الضابط إلى الصور أمامه، سأل:

- ومن هؤلاء؟

التفت المساعد إلى الصور، قال:

- عمليات احتيال.. نشل.. شجار.. سوء تفاهم.. فعل فاضح.. مغازلة النساء في الشوارع.. حتى لصوص المنازل ليسوا فيهم..

وجم الضابط وهو يسمع ما يعرفه، مدة وجيزة انقضت قبل أن يقول:

- أليس فيهم متهمًا في مخالفة قانون الطوارئ؟

أملى المساعد سؤال الضابط على هيئة أوامر صوتية، لتختفي الصور وتظهر بدلًا منها ثلاث صور، قال المساعد:

- هؤلاء هم..

قاطعته لهفة الضابط وهو يسأله:

- خالفوا قانون الطوارئ.

نظر إليه المساعد، قال:

- لا، أنَّهم متهمون بدون دليل، بلاغات أشخاص تقول إنَّ المزايا التي يملكها هؤلاء لا يستحقونها أو غير مؤهلين لامتلاكها، وعند البحث لم نعثر على ما يدينهم، وهم تحت الرصد والمتابعة فقط.

والصور تشد عينيه إليها، قال الضابط:

- وهل تحققنا من هذا الأمر؟

عاد المساعد ينظر إلى الشاشة الفراغيّة، قال:

- نعم، أنَّهم لا يستحقون تلك المزايا، ولكنَّنا لم نعثر على محاولة اختراق للنظام، أو العبث فيه، لهذا نحاول معرفة كيف حصلوا على هذه المزايا.

- ما المزايا التي حصلوا عليها؟

- الأول له خريطة انتقال حرَّة، يستطيع الانتقال أينما يشاء وقتما يشاء، وهو عامل توصيل للمنازل، الثاني موظف حكومي، ليس ثريًّا ولا يؤهله عمله للحصول على شَقَّة في حي راقٍ، الثالث له فترة انتظار مفتوحة في أي منطقة يشاء وبغض النظر عن مستوى الازدحام، وهو بدون عمل أو عمله غير معروف.

- ليس له عمل!

جعل التفكير عيني الضابط بئرًا لا قرار له، تسقط فيه بلا نهاية، لولا نظرة ظفر أضاءت لتصنع قاعًا، وصاحَبَها هتافه:

- لقد وجدت ضالّتنا.

*** * ***

- يصنعون ثورة؟!

قالها محافظ المدينة وهو جالس إلى مكتبه في الطابق الأخير من مبنى المحافظة، وجليسه في الطرف المقابل من المكتب شيخ أشيب.

هزَّ الشيخ رأسه إيجابًا، ووجهه يشِي ببحر أفكاره العميق، والمُحافِظ يواصل الحديث:

- سيفسدون كل شيء، ستكون ثورة تفترسهم قبل أنْ تقضي علينا.

ورفع بصره للشيخ، وهو يسأل:

- هل نخبرهم الحقيقة؟

نفى الشيخ برأسه، وصوته قادم من عالم بعيد، من وراء مجرَّة التَّبانة، قال:
- كلَّا، أتذكر حين أخبرنا الناس بما نعتزمه؟ لقد ثاروا واتهمونا بالجنون والكفر، لم نجد حلًّا سوى إخفاء ما نعتزمه، إخبارهم الحقيقة الآن سيقضي علينا جميعًا.
غاص المُحافِظ في أفكاره، قال:
- رُبَّما هذه المرة تختلف، لقد فعلنا ما عزمناه، ولن يستطيع الناس منعه أو إيقافه.
نظر له الشيخ، سأل:
- وهل تستطيع تخمين ردة فعلهم؟ هل تضمن بأنْ لا تصير ثورة مجموعة من الشباب ثورة شعب كامل؟ هل تضمن أنْ لا تشيع الفوضى؟
أطلق المُحافِظ نفسًا طويلًا، أنَّه المُحافِظ وطول النفَس يقيس عمق المشكلة، قال:
- لا، وماذا سنفعل؟ أنت تغلق جميع السُبل في وجهي، لقد فعلنا ما فعلناه لأجلنا، لأجلهم، لأجل أبنائنا ومستقبلهم، ما يخططون له سيقضي على هذا كُلّه، هل نعتقل رئيس الشرطة ومن معه؟
- لا، لا، لا، رئيس الشرطة أهْون ما نواجهه، أنَّه يسعى لأمر شخصي، صحيح أنَّه يستغل ثورة الشباب لصالحه، ولكن الكارثة في ثورة الشباب ذاتها، إنَّهم يطرحون أسئلة تحتاج إلى إجابات، والإجابات هي الكارثة، وهي التي نخشى أنْ تدمَّر كل شيء.

المُحافِظ:

- لماذا لا نُشارك رئيس الشرطة حقيقة الأمر؟

الشيخ:

- لن يمنع هذا ثورة الشباب، ورُبَّما تزيد من إصرار رئيس الشرطة للحصول على منصبك.

بحَنق قال المُحافِظ:

- وماذا سنفعل إذًا؟

لم يجبه الشيخ، وغاص أكثر في عالم أفكاره، والمُحافظ ينظر إليه، من الغريب أنَّه المُحافِظ ولكن الحلول لا تأتيه متوسلة.. بل كأنَّ رأسه ضرَّتها..

بعد حين، قال الشيخ:

- القوة التي نملكها في يد رئيس الشرطة، ولن نستطيع عزله عن منصبه بدون أسباب قويّة، قانون الطوارئ وشعور الناس بوجود نظام قهري يكتم أنفاسهم، يجعلهم في عداء وخوف من هذا النظام، ثورة الشباب ستكون الأمل للتخلص من هذا النظام و..

قاطعه المُحافِظ:

- لا تفكر في ما أظنّه، لو نجحت ثورة الشباب ستطيح بنا وبكل شيء، وسُتصبح المدينة كالسفينة التائهة في بحر مُتلاطم الأمواج.

نفى الشيخ برأسه، قال:

- كلَّا، ليس هذا، أرى استغلال ما يفعله الجميع للتخلص من الجميع..

- كيف؟

عاتبته نظرة من عيني الشيخ وسألته التمهل، وهو يكمل:

- سأخبرك..

وأخبره.. بالخطة التي ستطيح بالجميع.. في ضربة واحدة.. البيض في سلة واحدة..

*** * ***

5- الجريمة والعقاب

دلف (عابد) إلى شَقَّته في الطابق العشرين من الحي العاشر، لوهلة ظنَّ أنَّه أخطأ الشَقَّة، لولا أنَّ هذا مستحيل، البهو مُضاء وقد جلس على الأريكة التي تقابل الباب رجل لم ير سقف منزل من قبل، وعلى الأريكة الأخرى رجل آخر أنهكته الحياة فاضطجع على الأريكة لا تعلم هل هو نائم أم مستلق فحسب.

كانت ملابس الرجلين أنيقة لا تلائم الحالة التي هما عليها.. أبله.. ومُتعب..

أراد (عابد) أنْ يسألهما عن شأنهما، رغم المفاجأة التي وضعت غُصَّة كجبل أُحد في حلقه.

- لماذا يا (عابد)؟ لماذا؟

سأله الرجل الذي لم ير سقفًا من قبل، سأل في أسف.. في حسرة.. في خذلان.. مشروع عمره.. ابنه الحبيب (عابد) أفسد كل شيء..

لم يفهم (عابد) السؤال، ولا يعرف متى خذل مَن في ماذا؟.. مَن هذا؟.. مَن ذاك؟.. ماذا يحدث؟ كيف دخلا شقته..

البرهة التي تبعت السؤال، كانت كافية للرجل للاِنتهاء من تأمل السقف، ولـ (عابد) كي يستعيد رباطة جأشه، ويهتف:

- شرطة تفعيل (...)، من أنتما؟ وكيف دخلتما شَقَّتي؟

أتاه الجواب على هيئة صفعة على قفاه، التف إلى صاحبها، فإذا به الرجل المُنهك، وقد استيقظ واستعاد نشاطه ويصيح في (عابد):

- الآن ستعرف مَن نحن، تكلم بأدب أيُّها المجرم.

وثب الرجل الأول قائمًا، كأنَّ الصفعة من نصيبه، وبغضب صاح:

- ماذا تفعل؟ أيّاك أنْ تمسَّه بسوء.

والتفت إلى (عابد) وقد أصبح أُمًّا عاد لها ابنها بعد تيه عشرين سنة وثلاثة أيام في صحراء كلهاري على ظهر نعامة زرقاء، وتابع:

- ليس مجرمًا، لقد أخطأ فحسب.

قال الآخر بغضب:

- ليس مجرمًا!! كيف؟!! لقد انتهك قانون الطوارئ، واستولى على شَقَّة غيره، ماذا يكون هذا إنْ لم يكن مجرمًا؟ الإعدام جزاؤه لانتهاك قانون الطوارئ فقط.

التفت له الأوّل غاضبًا، قال:

- قلت لك أنَّه أخطأ، ولم يفعله متعمدًا.

ران الصمت هُنيهة، تبادل فيها الرجلان النظرات الغاضبة والحانقة، قطعها الأوّل بصرامة:

- اعتذر له.

- ماذا؟ اعتذر لهذا ال.. المجرم؟!!

لم يتغير شيء من هيئة الأوّل، وهو يكرر:

- اعتذر له.

عاد الصمت من جديد، والعناد على وجه الثاني يذوب في برهة، ثم التفت إلى (عابد) الذي لا يزال يمسك قفاه بكفه، واعتذر:

- اع.. اعتذر إليك يا.. يا (عابد)، ل.. لقد كان خطأ منّي.
والتفت إلى الأوّل وعيناه تسأله "هل استرحت؟".
استدار الأوّل حول المائدة الصغيرة التي تتوسط الأرائك، ليقف بجوار (عابد)، ويحتضنه بذراعه الأيسر، كصديق عمر عاد بعد غيبة و"وقد يجمع الله الشتيتين بعدما.. يظنان كل الظن أن لا تلاقيا".

وكما يقود العريس عروسه في ليلة عرسهما، سار الأوّل بـ (عابد) نحو الأريكة وهو يقول:
- المشكلة في (حسن) أنَّه لا يقبل أي مبرر لمخالفة القانون عامة، فما بالك بقانون الطوارئ؟! القانون الذي تعني مخالفته شيئًا واحدًا يا (عابد)، أتعلم ما هو؟

جلس على الأريكة ومعه أجلس (عابد) الذي لا يزال يمسك قفاه، لم ينتظر مِن (عابد) إجابة، بل أكمل:
- الإعدام يا (عابد)، الإعدام بلا رأفة ولا رحمة، الإعدام.. (حسن) وأكثر رجال الشرطة لا يؤمنون بالأحوال القهرية الاضطرارية التي تدفع الناس إلى مخالفة القانون في نطاق يعتقدون أنَّه لا يؤذي الآخرين، (حسن) والآخرون يرون مخالفة القانون جريمة بغض النظر عن ما يدفع الناس إلى ذلك.
والتفت نحو (عابد) الذي لا يزال...، وتابع:

- أمّا أنا يا (عابد).. أؤمن بالأحوال القهرية التي تدفع الناس إلى مخالفة القانون، وأبذل كُلّ جهد لإنقاذهم من مصيرهم المحتوم.. الإعدام.. الإعدام يا (عابد)، لقد راجعت سيرتك، ماذا وجدت؟ وجدت إنسانًا مهذبًا محترمًا مكافحًا لم يخالف القانون يومًا، إنسان أكرهته الأحوال على مخالفة القانون وأخذ ما ليس حقه، بل أومن تمامًا أنَّك لا تستطيع فعل ما فعلته بنفسك، لا بد من شخص فعل ذلك لأجلك، شخص مجرم بطبيعته، استغل أحوالك الاضطرارية، ولا شك لديّ أنه استلب منك مبلغًا ضخمًا، شخص كهذا هو من يجب أنْ يحمل وزر ما فعلته يا (عابد)، شخص كهذا هو من يستحق عقوبة الإعدام، الإعدام جزاؤه وليس جزاءك، مَن هو يا (عابد)؟ مَن هو؟

ابتلع (عابد) ريقه بصعوبة، وقد أدرك طبيعة الرجلين، وبلسان أصبح بحره صحراء، قال:

- ل.. ل.. لا.. أعلم.. أن..

هنا هوت صفعة قوية على خَدّ (عابد)، صفعة أوشكت أنْ تدير رأسه ثلاثمائة وستين درجة، صفعة دوت في بهو شَقَّة الأخير كقنبلة مشتاقة أنْ تُري الدنيا نفسها، صفعة أذهلت (عابد) ودفعت بطوفان القهر في قلبه حتى أوشك أنْ يفيض قطرات من الدموع، صفعة أنهضت الأوّل من جلسته ليقف صارخًا:

- حسن.

نظر (حسن) إلى زميله.. بغضب.. بحَنق، ليصرخ بدوره:
- ألم تسمع هذا الكاذب؟ أيحسِب أننا لا نعلم كل شيء؟ أنَّك تدلل مجرمًا يا (سمير)، مجرمًا.
صاح (سمير):
- كلَّا، ليس مجرمًا، بل ضحية لمجرم.
ران الصمت وهما يتبادلان نظرات الغضب، و(عابد) يد على القفا والأخرى على الخد.

مرة أخرى أجد نفسي في سياق الرواية، الرواية التي تدور في المستقبل، ولا شك أنّ وسائل التحقيق والحصول على المعلومات قد تطورت وبلغت شأنًا كبيرًا، مثل قارئ الأفكار أو مصْل مشابه لمصْل الحقيقة (بنتوثال الصوديوم) المُستخدم من قبل النازية في الحرب العالمية الثانية، مصْل يجعل الإنسان يعترف دون الحاجة إلى التعذيب والتنكيل به، ولكن يبدو أنَّ النظام القهري يتلذذ بتعذيب الإنسان وقهره والتنكيل به، يتلذذ برؤية الدموع والدماء..

- اعتذر له.
- محال، هذا المجرم لا يعلم أنّنا نعلم كل شيء، وأنّ الإعدام جزاؤه.
- هذه قضيتي يا (حسن)، وسأديرها كما أشاء، لن أسمح بذهاب بريء للإعدام.

بشراسة قال (حسن):

- وأنا أقول أنَّك تدلل مجرمًا، وسأحرص على انتزاع هذه القضية منك، وسأرفع شكوى بأنك تتساهل وتدلل المجرمين.

استمر تراشق نيران الغضب بينهما، قبل أن يستدير (حسن) ويتجه ليجلس على الأريكة الأخرى، وعاد (سمير) لمجلسه، وهو يقول:

- أنا.. أنا اعتذر لك يا (عابد) من سلوك زميلي، تقبَّل اعتذاري.

خرجت من (عابد) همهمة.. غمغمة.. شيء ما.. وكأنَّه يملك خيارًا في رد الاعتذار. أطلق (سمير) نفسًا طويلًا، قال:

- هذا ما أحاول أنْ أنأى بك عنه يا (عابد)، أنا من يستطيع مساعدتك وإنقاذك من مصير محتوم.. أين توقفنا؟.. آه كنت أسأل من هو وأنت تقول..

بصوت متحشرج، قال (عابد):

- أعرف أنّه خبير في الأنظمة الأمنية و..

وأخذ يثرثر ويخبرهم بكل شيء.. كل شيء.. نعم حتى اسم الطبيب الذي قام بإخراجه لهذه الحياة وعنوانه، لماذا لم يقم الملعون بخنقه بحبله السُرِّي، واسم الممرضة الملعونة التي عاونته، لماذا لم تقتله في مهده، لقد انفردت به عدة مرات بعد أنْ أخذته من الطبيب، أما من ارتكبا جريمة إحضاره لهذه الحياة، فقد فرّا إلى الدار الآخرة.. مع الأسف..

*** * ***

6- المِنْحة والمِحْنة

مرة أخرى في المطعم نفسه، وبالترتيب ذاته تكرر الأمر، قال الأوّل:

- لقد اتصل المُبدع.

ارتفعت هتافات الدهشة من الآخرين، فرفع الأول كفه يسألهم الهدوء، وهتف الثاني:

- كيف؟ هل خرج من الحجز؟

الثالث:

- متى؟ وأين هو؟

الرابع:

- لماذا لم يحضر؟

واصل الأول رفع يده، وهو يجيب الجميع:

- كلّا، لم يخرج، ولكنّه وجد وسيلة للاتصال بنا.

وجمت وجوه الآخرين برهة، أعقبها الثاني بحذر:

- وجد وسيلة! كيف؟

الثالث بحذر أكبر:

- وما أدرانا أنَّه هو؟

الرابع اكتفى بالشَّك العظيم على وجهه، ليخبرهم ما في صدره، وتفهّم الأوّل حالهم، فقال:

- أنَّه هو، لقد أعطانا دليل لا يقبل الشَّك.

الرابع والشَّك يستصغر نفسه أمام شكه:

- دليل! ما هو؟

خفت صوت الأوّل حتى أنَّ رؤوسهم مالت إليه وهو يقول:

- وسيلة.. وسيلة آمنة لنشر ما نريده بين الناس، دون أنْ نكشف أنفسنا لهم.

الثاني بلهفة:

- حقًا، ما هي؟

لم يترك الحذر الثالث ولم يفارق الشك الرابع، وأجاب الأول:

- شبكة الاتِّصال القصيرة.

وبصوت واحد كرر الآخرون قول الأوّل:

- شبكة الاتِّصالات القصيرة.

كرروها برتابة البليد، ولم يكن الفهْم معهم، فتابع الأوّل:

- نعم، سنبث ما نريده عبرها.

استنكر الثالث:

- غير معقول.

وساند الثاني إنكاره بالقول:

- شبكة الاتِّصالات القصيرة تعمل من شخص إلى لآخر في مدى جغرافي لا يزيد عن مائة متر.

حالفهم الرابع:

- ولا بد أنْ يعرف المستلم الراسل كي يفتح قناة الاتِّصال.

زاد الثالث:

- وهذا يعني أنَّ المستلم يجب أن يكون من معارِفنا، وهذا خطر عظيم علينا وعليهم.

استمع إليهم الأوّل حتى أفرغوا إنكارهم، وبالهدوء رد:
- قلت إنَّنا سنستخدمها، ولكن ليس بالطريقة المألوفة وهذه هي عبْقريّة المُبدع، ميزة شبكة الاتِّصالات القصيرة أنَّها لا تتصل بالشبكة العامة فلا يمكن رصدها أو متابعتها، سنستخدم برنامج المحادثة (دردوش)...
قاطعه الثالث:
- هذا يستخدم الشبكة العامة.
واصل الأول بعد أنْ قذف الثالث بنظرة تأنيب أسد:
- ويستخدم أيضًا شبكة الاتِّصالات القصيرة، وهنا يبدأ العمل، من أي مكان نحن فيه - والأفضل الأماكن العامة- ننشئ مجموعة محادثة جديدة، وفي وصف المجموعة نكتب الرسالة التي نرغب في إبلاغها الناس...
قاطعه الرابع:
- هذا مستحيل، لن تستطيع إنشاء مجموعة جديدة بدون تعريف واضح بالجهة التي أنشأت المجموعة...
أكمل الثاني الحديث عنه:
- هذا لا يشمل المجموعات على شبكة الاتِّصالات القصيرة، البرنامج يفترض أنَّها مجموعة مؤقتة في موقع جغرافي محدد وضيّق...

قاطعه الثالث:

- وتنتهي بعد بضع ساعات من تغير الموقع الجغرافي أو توقف أعضائها عن المحادثة.

أوشك صبر الأوّل على النفاد من مقاطعتهم له، قال:

- هذا يكفينا، فور إنشاء المجموعة ستظهر في برنامج المُحادثة على جميع الهواتف المحيطة بمنشئ المجموعة، الذي يجب أنْ يغادر المكان بسرعة.

الرابع وقد تدارى خلف غمائم الشّك:

- هذا فقط؟! الناس عادة ينشطون في مجموعاتهم الخاصة، وقليلًا ما يهتمون بمجموعة جديدة مجهولة!

الأوّل:

- هذا ما علينا فعله، وستصل رسالتنا لجميع الناس.

الثاني:

- كيف؟

الأوّل:

- لنفعل هذا، ونرى ما سيحدث، لن نخسر شيئًا.

الرابع:

- بل سنخسر أنفسنا، ماذا لو كان هناك رجل أمن ولاحظ هذه المجموعة الجديدة.

الأوّل:

- مستحيل، لن يعرف من قام بذلك.

الثاني مقتنعًا:

- حقًا، لن نخسر شيئًا.

الرابع والشّك لا يتركه:

- وما هي الرسالة التي سنرسلها للناس؟

ساد الصمت والجميع يفكر في الرسالة، وقطعه الأوّل بالقول:

- سنخبر الناس بعبثية نظام الأبواب، وأنّ الغاية منه اضطهادهم والسيطرة عليهم، ونلقي الضوء على الإجراءات المعقدة للانتقال للمدن الأخرى، ونذكرهم بغياب النظام الانتخابي، ونطالبهم بالثورة والإطاحة بالنظام الحالي لايضاح الحقيقة، كما فعلنا سابقًا.

لم يعقب أحدهم، ولبث الصمت هُنيهة، حتى طرده الرابع بالقول:

- لن يفلح هذا، لم يفلح سابقًا، ولن يفلح الآن.

الثاني:

- ولم؟

الرابع:

- مساوئ الأبواب لا تضاهي منافعها، وكل ما نفعله لا يؤثر في حياة الناس بشكل مباشر أو حاد.

الثالث:

- إذا ماذا نفعل؟

الثاني:

- بل لم نفعل ما نفعله إذا لا يؤذينا؟

الأوّل وقد ساءه حديث الرابع:

- لأنَّ هناك نظام قهري يكتم أنفاسنا، لأنَّ هناك عشرات الأسئلة تحتاج إجابات، والأبواب والطعام والانتقال لمدن أخرى بداية نهر الغموض والسؤال.

الرابع:

- وهذه ستكون البداية و~ترررررن ~ سنقوم بـ ~ ترررررن ~..

قاطعه الثالث وهو ينهض:

ـأعذروني، لقد انتهى وقتي في هذه المنطقة، يجب أنْ أغادر.

وصافح الآخرين في عجالة، وهرول إلى الخارج، وهو يقول:

- أطلعوني على الجديد.

تابعه الآخرون بأبصارهم حتى غاب وراء ثنية في المطعم.

الرابع ووجهه يحاول تذكر ما كان يقوله:

- ماذا كنت أقول؟.. آه.. سنحاول إظهار فساد النظام وغياب النظام الانتخابي، وسنطرح أسئلة عن غياب أشخاص، وعن طبيعة الطعام، والطرق المقطوعة إلى المُدن الأخرى، كل هذا سنظهره مضاعفًا وبحجم أكبر من حقيقته، ونصنع له أثارًا يراها الناس في حياتهم اليومية.

الثاني:

- كيف؟

الرابع:

- فساد السُّلطة يمنع إجراء الانتخابات في قتها، وقام باعتقال السَيِّد (محسن محمود) وقتل (...

قاطعه الثاني مدهوشًا:

- مَن (محسن محمود) هذا؟

الرابع:

- لا يهم من هو، سنجد واحدًا، سنخبر الناس بأنَّ فساد السُّلطة يسمح بإنتاج طعام باستخدام الهندسة الوراثية لتحقيق أرباح هائلة لحسابهم الخاص، وهذا يؤدي للأمراض والموت وخاصة ابناءهم وذراريهم، هذا سيخيف الناس، وسيغرس فيهم فكرة الثورة، ويجعلها قابلة للتحقيق.

الأوّل:

- كل هذا جميل، ولكن يجب صياغة هذه الأفكار بطريقة تزرع في الناس الخوف والثورة.

الثاني:

- هذه مهمتي، ولكن ألن يكتشف الناس تلك الأكاذيب؟

الرابع:

- لا توجد أكاذيب، فقط حقائق صغيرة سنجعلها كبيرة، وحين تحاول السُّلطة إظهار حقيقة تلك الأمور، سيعلم الناس أنَّنا لا نكذب، وأنّه لا دخان بلا نار، وعدم ثقة الناس بالسلطة سيدفعهم لتصديق روايتنا.

الأوّل:

- أصبت، الآن التنفيذ.

نظر الرابع إلى الأوّل:

- قبل التنفيذ، هناك أمر مهم..

صمت هُنيهة والعيون تسأله "ما هو؟"، فتابع:

- يجب أنْ نعلم من أوصل رسالة المُبدع إلينا؟

أصبحت عينا الأوّل قِبلة العيون، وهو يجيب:

- لا أعلم.

***

- عريس ابنتي الغالي، أهلًا وسهلًا.

دُهش (عابد) من الاستقبال الحار الذي استقبله به زوج خالته على باب شَقَّة الأخير، صحيح أنَّ لا كراهية بينهما، وأيضًا لا محبة زائدة، بل يمكن وصف العلاقة بينهما بكلمة واحدة.. هي اللا مبالاة..

إنَّ زوج خالته لا يرغب فيه بَعلًا لابنته، وينتظر ملوك الأرض يطلبون يدها منه، وأيُّهم لم يطرق بابه، سمع طرقًا.. فتح الباب بعد طول انتظار.. فوجد (عابدًا).. نظر يمنة ويسرة.. نظر أمامًا وخلفًا.. لم يجد سواه.. فأدخله..

لذلك ردَّ (عابد) على الترحاب بحذر دجاجة يسألها الذئب بحنان "كيف حالكِ؟" عند الساعة الثانية صباحًا:

- شـ.. شكرًا يا عمِّي.

واحتضن زوج خالته ذراعه وهو يقوده إلى حجرة الضيوف، وصوته يعلو بالنداء:

- سعاد، جاء ابن أختك الغالي، (بُثَيْنَة)، جاء عريسك المحبوب.

دخلا حجرة الضيوف وأجلس بحرارة (عابد) على الأريكة، و.. وجلس بجواره.. هنا وثبت فئران الدنيا داخل ثياب (عابد)، وهو الذي يعلم من خبرته ما وراء الحنان الزائد، لذلك وثب (عابد) قائمًا، ويهتف:

- ماذا هناك يا عمِّي؟

بابتسامة بلغت الأذنين، وتربيتة على موضع بجواره، قال زوج خالته:

- كُلّ خير، كُلّ خير يا (عابد)، يا بني، يا غالي.

ابني؟! غالي؟! وثبت ثعابين الكون في ملابس (عابد) الداخلية، وجعلته يهتف:

- عمِّي، ماذا هناك؟

لم تتغير حالة زوج خالته وهو يقول بمرح:

- كُلّ خير، كُلّ خير، اقعد، اقعد كي أخبرك.

بحذر مَن يقف على لُغْم أرضي، عاد (عابد) إلى مجلسه، ووضع زوج خالته / عمَّه / حموه / أبو عروسه يده على كتفه، أراد أنْ يثب واقفًا من جديد، ومنعته اليَّد الثقيلة، وصاحبها يقول:

- اهدأ.. اهدأ يا (عابد)، اهدأ يا عريس ابنتي.

ومال نحوه كأنَّه يناجيه، قال:

- أوّلًا، مبارك الشَقَّة الجديدة، الآن اطمأننت على ابنتي، وعلمت أنَّ لها رجلًا قادر على إسعادها.

لم تترك الدجاجة حذرها وهي ترد:

- الله يبارك فيك يا.. عمِّي.

- عمِّك يا (عابد)، عمّك، وأبو عروسك، قل لي كيف حصلت على تلك الشَقَّة الرائعة؟

نظر له (عابد)، بحذر أجاب:

- كانت معروضة للبيع بعرض خاص للموظفين يا.. عمَّي.

- عمّك يا (عابد)، عمّك، أبو عروسك، زوج خالتك، حموك، عرض خاص يا عفريت! عرض خاص يا (عُبْعُب)!، أنا عمّك، أبو عروسك، أخبرني الحقيقة يا (عُبْعُب).

عُبْعُب؟! زوج خالته يناديه (عُبْعُب)! لم يترك هيئته وهو يقول:

- الحقيقة هي ما أخبرتك به يا.. عمَّي، أين (بُثَيْنَـة)؟

اقترب زوج خالته منه أكثر واحتضنه أكثر، أعوذ بالله.. ماذا يريد منه؟ أما زوج خالته فزاد ابتسامًا، قال:

- ألا توجد شَقَّة أخرى..

وبخبث ونبرة خاصة أكمل:

- بعرض خاص لأبي العروس، عروسك يا (عُبْعُب)؟

- لا، العروض للموظفين فقط..

وهبّ واقفًا يصيح:

- بُثَيْنَة، بُثَيْنَة، يا خالتي، يا خالتي، يا (حسام).

أمسك زوج خالته بيده وأجلسه بجذبة قويّة، وهو يقول:

- أنت تعلم النساء يا (عُبْعُب)، تحتاج وقتًا طويلًا للزينة، وعروسك تريد أنْ تبدو أجمل النساء في عينيك.

عابد وهو يحاول الإفلات من قبضة زوج خالته:

- إنَّها أجمل النساء في عينيّ، لا تحتاج للزينة، (بُثَيْنَة)، يا (بُثَيْنَة)، يا (بُثَيْنَة)، يا خالتي، يا (حسام).

- اهدأ، اهدأ يا (عُبْعُب)، يا عريس ابنتي، ألا يمكنني الحصول على شَقَّة بصفتي والد عروسك؟

عابد وهو يحاول الإفلات من جديد:

- سأحاول من أجلك يا زوج خالتي رغم مشَقّة الأمر، يا خالتي، يا (بُثَيْنَة)، يا (حسام)، يا خلق الله.

زوج خالته ويده كلّابة حديدية:

- اهدأ، اهدأ يا عريس ابنتي، كلامك جميل، وأريد أيضًا خريطة انتقال حرّ.

التفت إليه (عابد) مدهوشًا، سأل:

- خريطة انتقال حرّ؟! ومن أين آتي بها؟

نغزه زوج خالته بسبابته في جانبه، قال بخبث مُداعبًا:

- يا لئيم، من ينال تلك الشَقَّة؛ يسهل عليه الحصول على تلك الخريطة، أنا عمّك، زوج خالتك، أبو عروسك.

نظر إليه (عابد) في عينيه المبتسمتين.. هُنيهة.. برهة.. بحسم قال:

- أبو عروسي، زوج خالتي، عمِّي، لا استطيع فعل ذلك، لا شَقَّة ولا خريطة.

هنا ألقى زوج خالته المودة وراء ظهره، ونهض صارمًا يقول:

- إذًا ليس لك عندي عروسة، يا أستاذ (عابد)، سأعطيك مهلة أسبوعًا واحدًا فقط، شَقَّة وخريطة أو لا أراك في هذا البيت مرة أخرى.

وأضاف بلؤم:

- ولا شك أنَّ البعض سيهمه أنْ يعرف كيف حصلت على تلك الشَقَّة، خاصة في قانون الطوارئ الذي لا يرحم.

*** * ***

كاد المُحافِظ أن يقتلع باب حجرة مكتبه وهو يدخل إليه مُندفعًا، ويصيح بمساعده الجالس إلى مكتبه:

- احضر الدكتور (هاني) إلى مكتبي الآن.

لم يذهب إلى مكتبه، بل اتجه إلى النافذة العريضة التي تطل على المدينة، ومن بين آلاف المباني صبّ سهام بصره على مبنى في الطرف الآخر من

المدينة، مبنى يحمل على قمته لافتة كُتب عليها واضحًا وبخط كبير "مديرية شرطة المدينة".

كان المُحافِظ يغلي غضبًا، غضب جعل الزمن بطيئًا كسيحًا، واستطالت الثواني، فصاح بعد ثوان من أمره الأوّل:

- أين الدكتور (هاني)، لماذا لم يحضر إلى الآن؟

أراد مساعده أنْ يقول أنَّ الرجل لم يضع هاتفه بعد، وبأدب قال:

- إنَّه في الطريق، يحتاج نصف ساعة يا سيادة المُحافِظ.

التفت إليه المُحافِظ، بغضب:

- نصف ساعة؟! لماذا؟ أين هو؟

المُساعد:

- هنا، في مبنى المُحافظة، ولكنه يحتاج نصف ساعة ليتمكن من الحضور.

زاد غضب المُحافِظ استعارًا، هتف:

- لماذا؟ هل هناك ما هو أهم منّي؟

لم يحر المُساعد جوابًا، وبارتباك قال:

- معاذ الله يا سيادة المُحافِظ، لا بد أنَّه أمر جلل الذ..

قاطعهما صوت الدكتور (هاني) يقول بصوت هادئ:

- ها أنا ذا يا سيادة المُحافِظ، لا يشغلني عن الإسراع إليك إلا مسافة الطريق.

التفت المُحافِظ إلى الشيخ الأشيب، وهو يصيح:

- هل بلغك ما يحدث في المدينة يا دكتور (هاني)؟

لم يتغير شيء من حال الدكتور (هاني) والسؤال بسؤال:

- وماذا يحدث في المدينة يا سيادة المُحافِظ؟

بركان ينفث حممًا، هتف:

- الناس تستقبل رسائل خاصة على ساعاتهم وهواتفهم، تناديهم الثورة، الثورة ضد شخصي، أنا أسمم طعامهم، أنا أقتل أبناءهم، أنا من يحتجزهم في حدود المدينة ويمنعهم من الخروج، أنا أسرق أموالهم، أنا اغتصب نساءهم، أنا من يمارس الديكتاتورية ويمنع النظام الانتخابي، هل بلغك هذا؟ أم لا زلت في غفوتك؟

كان الدكتور (هاني) مفخرة الهدوء، وهو يجيب:

- نعم، أنا أعلم هذا كله.

كاد مخ المُحافِظ أن يتفجر من الغيظ وهو يصيح:

- تعلم؟! تعلم هذا كُلّه؟! وماذا فعلت؟

الدكتور (هاني) وقد زاد الهدوء هدوءًا:

- لا شيء.

لوهلة جمد المُحافِظ على هيئته، قبل أنْ يستدير إلى مكتبه، عازمًا كتم غضبه، قال:

- أريد أنْ أعلم من ينشر هذه الرسائل، وكيف استطاع اختراق شبكة الاتِّصالات، اريد أنْ أعلم ما يفعله رئيس الشرطة؟

والتفت إلى الدكتور (هاني)، وقد عاد الغضب يتقمصه، هتف:

- هل علمت ما عليك فعله يا دكتور أم تريد مزيدًا من الإيضاح؟

الدكتور (هاني):

- نعم يا سيادة المُحافِظ، بخصوص من ينشر هذه الرسائل فهو..

وصمت هُنيهة كانت للمُحافِظ ومساعده دهرًا، والدكتور يكمل:

- نحن.

صُعق المُحافِظ ومساعده، حتى أوشكت الحواجب أن تترك وجهيهما، قبل أنْ يهتفا معًا:

- أنت!!!

أومأ الدكتور (هاني) رأسه تأكيدًا، تبعه صيحة المُحافِظ الهادرة:

- أنت؟! أنت من ينشر هذه الأكاذيب عنّي؟ أنت من يكتب هذا الهُراء عنّي؟

نفى رأس الدكتور (هاني)، وتكلم لسانه:

- لا، لست أنا من يكتب هذا، من يكتبه مجموعة من الشباب يظنون أنَّهم أذكياء، وينشره رئيس الشرطة في نطاق محدود، ونقوم نحن بإيصاله لجميع الناس عبر شبكة الاتِّصالات، التي نسيطر عليها.

ذاهلًا، سأل المُحافِظ:

- ل.. لكن لماذا؟

الدكتور (هاني):

- لأجل الخطة التي أخبرتك بها، التخلص من الجميع بضربة واحدة.

وصمت كأنَّ الأمر لا يحتاج إيضاحًا، ولكنه أكمل:

- سنشعل الثورة في المدينة، وسنطلب من رئيس الشرطة التصدي لها، بالطبع سيتحمَّس لأنَّ هذا يناسب غرضه في الإطاحة بك، وسنبدأ نحن في التخلص من الطرفين، وكل منهما يظن أنَّ الآخر هو من يفعل ذلك، وفي الوقت نفسه نظهر للناس حقيقة الأكاذيب التي تُروّج عنك، أربعة مسارات تعمل في وقت واحد، لنحقق ما نريده.

لم يترك الذهول المُحافِظ وهو يقول:

- ولماذا؟ لماذا لا نخبر الناس بالحقيقة؟! بغض النظر عن النتائج.

الدكتور (هاني):

- هل نسيت ما حدث قبل عشرين سنة؟!، لم يقبل الناس الحلول، وثاروا وماجوا، واستخدموا الدين والقوة لمنعنا من إنقاذهم، هل تظنهم سيقبلون الحقيقة الآن، إخبارهم الحقيقة سيؤدي لثورة تقضي على هذه المدينة تمامًا.

المُحافِظ وجسمه ينهار على مقعده:

- إذًا؟

الدكتور (هاني):

- سنترك الأمر كما هو، طالما كل الخيوط في أيدينا، رئيس الشرطة تخلى عن فكرة وضع زعيم للثوار، واكتفى بوضع حلقة وصل ينقل من خلالها ما يريده للثوار، وهم يحسبون أنَّه يأتي من زعيمهم، وسنواصل نحن مع الشرطة نشر رسائلهم، مع تكذيب هذه الرسائل.

المُحافِظ:

- إلى.. إلى متى؟

الدكتور (هاني):

- إلى حين تتحول الثورة من فكرة وإحساس إلى فعل وعمل ويسقط القتيل الأوّل.

المُحافِظ:

- متى؟

الدكتور (هاني):

- هذا يعتمد على رئيس الشرطة ولهفته على الإطاحة بك.

ساد الصمت برهة، ثم تكلّم المُحافِظ بصوت أقرب للرجاء:

- لنُخبر الناس الحقيقة.

نظر الدكتور (هاني) في عينيه، وبصوت لا حياة فيه، قال:

- لن نضحي بالمدينة لأجل بضع مئات من البشر، ولن أضحي بالعالم لأجل مدينة، إذا المعرفة تعني الموت والخراب فلا حاجة للناس لها.

ولم يعد هناك المزيد من الكلام..

*** * ***

7- الفِرار

هتف الضابط (حسن):

- كيف لشخص نراه ونرصده لا نستطيع الإمساك به؟!

لم يجبه الضابط (سمير) وهو ينظر إلى صورة خبير الأنظمة الأمنية في الشاشة الفراغيّة في مكتبه في مديرية الشرطة، وتمهل قبل أنْ يجيب:

- رُبَّما لأن كل ما نراه ليس حقيقيًا.

لم يترك الضابط (حسن) الهتاف وهو يقول:

- كيف؟ كيف ليس حقيقيًا؟

أشار الضابط (سمير) إلى صورة الخبير، قال:

- لأنَّه خبير، في الوقت الذي ترصده الأجهزة في مكان ما، يكون هو فعليًّا في مكان آخر.

الضابط (حسن):

- وكيف لا ترصد الأجهزة هذا التكرار؟ كيف لا ترصد الأصل والنسخة المزيفة؟

الضابط (سمير):

- لا شك أنَّ الأصل يتم استبداله بصورة مختلفة، بحيث لا يشك النظام في حدوث تكرار.

الضابط (حسن):

- وماذا سنفعل لنكشف هذا؟

الضابط (سمير):

- لدينا وسيلتان للإمساك به، الأولى (عابد) والثانية الخبير الخاص بالشرطة.

انتبه الضابط (حسن) مع سماعه كلمة (عابد)، قال:

- عابد؟! كيف هو؟

الضابط (سمير):

- أنَّه يؤدي دوره جيدًا، لقد صدق رئيس الشرطة أنَّه لا يصلح أنْ يكون زعيمًا.

الضابط (حسن):

- كيف سيساعدنا في الإمساك بهذا؟

الضابط (سمير):

- سيت..

قاطعه رنين ساعته، فأشار بيده بطريقة معينة، ليستقبل اتصالًا..

- عابد، ماذا هناك؟

استمع لمحدثه بعض الوقت، وردّ عليه:

- لا بأس يا (عابد)، سنجد حلًّا لهذه المشكلة، وإذا احتاج الأمر الحديث إلى زوج خالتك، فسأتحدث إليه.

وبإشارة من يده أنهى الاتِّصال، التفت إلى الضابط (حسن)، ومبتسمًا قال:

- لقد جاءنا الحل.

وأكمل ليجيب الاستفهام على وجه الضابط (حسن):

- زوج خالته يريد شَقَّة وخريطة انتقال حرّ.

الضابط (حسن):

- حقًا، ألا يريد زوجة هدية معهما.

ضحك الضابط (سمير):

- دعك منه، سيكون هذا وسيلتنا للإمساك بالخبير.

تألقت عينا الضابط (حسن) فهمًا، وأكمل عن رفيقه:

- سيقوم (عابد) بالاتِّصال بالخبير بحجة الحصول على شَقَّة لزوج خالته.

الضابط (سمير) بظفر:

- نعم، لن يفلت الخبير هذه المرة كما حدث سابقًا، أنه يعرف الزبون جيّدًا هذه المرة.

الضابط (حسن):

- المهم أنْ يجيد صاحبنا عمله.

ضحك الضابط (سمير) وطمأنه بإشارة من يده:

- لا تقلق، الصفعة الثانية كانت في وقتها، لقد جعلته طيِّعًا.

بادله الضابط (حسن) الضحكة:

- لماذا تجعلني دائمًا في دور الضابط السيّئ، أرغب يومًا في دور الضابط الجيِّد.

نفى الضابط (سمير) بسبابته دون أنْ يتوقف عن الضحك:

- لا تجيده، الضابط السيّء يليق بك، دعنا نرى رأي خبير الشرطة في مسألة ذلك الخبير.

*** * ***

سار (عابد) في الشارع، وعيناه تتقافزان من لافتة إلى أخرى، يبحث عن غايته، حتى وجدها، لافتة تعلو متجرًا كبيرًا للأثاث، دخل المتجر الممتلئ بالزبائن الذين يتنقلون بين قطع الأثاث، والعمال يشرحون المزايا، ويخبرونـهم الأسعار.

حار (عابد) إلى أين يذهب، وبلغت عيناه اللتان تدوران في المكان مائدة صغيرة، جلست إليها عاملة، لا يعلم ما الذي دفعه إليها، أهو إيحاء ما؟ أم مشهد العمال الذين يترددون عليها؟

تقدم إليها وبتردد سأل:

- معذرة يا آنسة، ولكنني تلقيت رسالة منكم بوجود أثاث حجرة نوم لي في الجناح الملكي.

نظرت له العاملة باستغراب:

- الجناح الملكي؟! لا يوجد لدينا جناح ملكي، يوجد لدينا الجناح الاقتصادي، والعرائسي، والذهبي.

في تردد قال (عابد):

- الحقيقة أنني لا أذكر أنني اشتريت شيئًا من متجركم، وظننت أنَّها دُعابة، ولكنكم ارسلتم الرسالة مرارًا، وأخيرًا تلقيت منكم اتِّصالًا، يطلب حضوري شخصيًا.

وأصدر (عابد) أمرًا صوتيًا لتنبثق شاشة فراغيّة، وبأمر آخر ظهرت الرسالة واضحة، مع اسم (عابد) كاملًا واسم القسم، والرقم التعريفي لبيته، مع إشارة واضحة بأنه تمّ دفع ثمنه.

نظرت العاملة للرسالة في حيرة، قالت:

- تبدو هذه الرسالة من متجرنا، ولكن لا يوجد لدينا جناح ملكي!

والتفتت إليه، وهي تردف:

- دعني استوضح هذا الأمر.

انصرف (عابد) إلى مشاهدة الحركة النشطة في المتجر، حتى شعر بيد توضع على كتفه، وصوت يسأل في تردد:

- الأستاذ (عابد)؟!

التفت (عابد) إلى صاحب الصوت، شاب في العشرينات يرتدي ثياب العاملين في المتجر، أجابه (عابد):

- نعم.

بلطف سأله العامل أنْ يرافقه، وسار معه، وهو يجرّ (عابد) إلى حديث لا أوّل له ولا آخر، العمل.. الدنيا.. الناس. َحتى وصلا الطابق الرابع من المَتجر، الطابق الذي يشكو هجرًا فلم يجد اليد الحنونة التي تمتد له بالنظافة أو الاستخدام، وأشار العامل إلى غرفة مغلقة، قال:

- السَيِّد (جمعة) ينتظرك في تلك الحجرة.

سار (عابد) إليها.. طرق الباب.. سمع من يدعوه للدخول.. دفع الباب.. نظر إلى السمين الجالس على مقعد من اثنين في حجرة خالية إلّا منهم.. بُهت.. غَضِب.. بكل غل وحقد صاح:

- أنت.

* * *

قال الرابع وهو يسير بجوار الأوّل في حديقة المدينة الجميلة الواسعة:

- نعم، نحقق نجاحًا كبيرًا، ورسائلنا تصل إلى جميع الناس، الناس بدأت تهتم، وبعضهم بدأ يشارك بالفعل في الترويج لأفكارنا، ولكن..

واصل الأوّل النظر إلى المناظر الجميلة حوله، دون ترك الإصغاء لرفيقه، وعندما توقف عن الحديث التفت إليه يستحثه:

- ولكن ماذا؟

تابع الرابع:

- يجب أنْ نعرف من ينقل الرسائل مِن المُبدع إلينا، أشعر بالقلق من عدم معرفته، من هو؟ كيف يصل للمُبدع ويأخذ منه الرسائل؟ لماذا لا يُظهر نفسه؟ لا استطيع الثقة في شخص أجهله.

الأوّل:

- بعد هذا النجاح لا تستطيع الثقة به!

الرابع:

- هذا النجاح ضاعف خوفي وقلقي، كيف تنتقل رسائل من شبكة الاتِّصالات القصيرة إلى ساعات وهواتف الناس في جميع أرجاء المدينة؟ هذا الأمر ليس منطقيًا، خاصة ونحن نختار أماكن عشوائية.

تنهد الأوّل، قال:

- لدي تفسير لهذا.

التفت الرابع إليه مدهوشًا، سأل:

- لديك تفسير! ما هو؟

أجابه الأول:

- بخبرتي البسيطة في عالم التقنية، استطيع وضع تفسيرا لهذا، المجموعة المؤقتة في برنامج المُحادثة تنشط في نطاق جغرافي محدود، ولكن يتم تسجيلها في قاعدة بيانات البرنامج في المركز الرئيسي لأغراض إحصائية تهم الشركة المالكة للبرنامج، هناك حتمًا شخص ما في الشركة يرى المجموعة ويدرك مهمتها ويقوم بنشرها بين الناس.

الرابع:

- هل تدرك كم المجموعات المؤقتة التي تنشأ كل يوم، بل في كل دقيقة، مستحيل أنْ يقوم بهذا العمل فرد.

الأوّل:

- تذكر دائمًا أنَّهم يستخدمون برامج الذكاء الاصطناعي لمراقبة المحادثات، لاكتشاف الجريمة بأنواعها، لا ريب أنَّه أضاف شيئًا ليسهل عليه اكتشاف المجموعات التي ننشئها.

هزَّ الرابع كتفيه بعدم اقتناع، في حين نظر الأوّل حوله، فلما اطمأن لبُعد مكانهما عن الآخرين، قال:

- دعك من هذا، لم آتي بك إلى هنا لأجل هذا.

وأكمل هامسًا ردًا على سؤال عيني الرابع:

- لقد تلقيت رسالة جديدة من المُبدع.

بحذر سلحفاة في حقل ألغام، قال الرابع:

- حقًا؟!

الأوّل ورأسه يؤكد:

- حقًا، أنَّه يطلب الانتقال من التحريض إلى التجمهر والمظاهرة.

الرابع كسلحفاة تضع قدمها على لغم للأفراد:

- فقط؟

الأوّل:

- نعم، فقط، ويطالب عدم اللجوء للعنف والفوضى.

الرابع بحذر:

- ولماذا؟

الأوّل:

- المهم الآن أن تدرك سلطات المدينة الأمر وأنْ تعرف ما نريد، ونعرف ردة فعلها.

الرابع:

- هذا هيِّن، متى نبدأ؟

الأوّل:

- سنبدأ الدعوة من الآن، ويكون التظاهر يوم الاثنين من الأسبوع القادم.

الرابع:

- هذا يعطينا وقت كاف، تبقى أماكن التجمهر.

الأوّل وهو يعود بالرابع من ذات الطريق:

- هذا هو الأمر الشاق.

أين أماكن التجمهر؟

أين؟

*** * ***

- أيُّها الحقير.. الوغد.. الملعون..

استمع خبير الأنظمة الأمنية لسباب (عابد) في هدوء، والأخير يتقدم نحوه يريد أنْ يعتصر عنقه كما يفعل حبل الإعدام، ويُرْغي ويزْبد ويتقدم، حتى صار على بعد خطوة، فتكلم الخبير:

- اهدأ يا (عابد)، اهدأ.

ينادي ميتًا من عالم الأحياء، صار (عابد) على بعد نصف خطوة من الخبير، الزحف البطيء مع نظرات الغضب والجعجعة تهدف إلى تنويم الضحية

مغناطيسيًا، ليُسهل القضاء عليها، ولكن موجات الغضب المغناطيسية تصطدم بطبقة ثخينة من الدهن تحمي الخبير، الذي كرر بحزم.. بصرامة.. بقوة:

- اهدأ يا (عابد)، اهدأ، حياتك في خطر، اهدأ حتى استطيع انقاذك، ستُقتل الأسبوع القادم.

نبرة الخبير.. كلماته.. ألجمت (عابد)، وجمد في مكانه.. هُنيهة صمت.. قال بعدها:

- حياتي في خطر؟ سأُقتل الأسبوع القادم!

أشار الخبير للمقعد الآخر، قال:

- اهدأ، اجلس حتى نستطيع إصلاح الأمر.

في حركة آلية يحسده عليها الجيل الأول من الرجال الآليين، اتجه (عابد) للمقعد ليجعله اسمًا على مُسمى.

ساد الصمت والخبير غارق في التفكير، يبحث عن بداية لما سيقوله، وقاربت البرهة على الاِنقضاء، فنخسته، فلم يجد بُدًا من الكلام:

- في البداية يجب أنْ تعلم أنَّ لا ذنب لي في ما أصابك.

حمم الغضب التي تركت (عابد) واتجهت إلى ركن الحجرة تنصت، عادت مع هذه الجملة تنقض كلمح البصر على قلبه وعقله، وهبَّ قائمًا صارخًا:

- ليس لك ذنب، أيُّها الحقير، كل ما أصابني هو منك، لم تعرفني المصائب إلَّا حين سرقت شقتي، لم أعرف الهوان إلَّا حين أخذت الشَقَّة الجديدة، لم أخسر خطيبتي إلَّا بسببك، لم..

- اهدأ يا (عابد)، اهدأ، الوقت لا يسمح باللوم والعتاب، كُلّ ثانية تُهدرها تقترب بك من الموت.

مرة أخرى كان ذكر الموت مهدئًا، فسكن هُنيهة ثم عاد إلى مقعده، والخبير يقول:

- نعم، لم أقصد..

أراد الغضب تكرار نفسه، ولكن سبابة تحذير من الخبير نحو (عابد) جعلته يرتخي في مقعده، والأوّل يواصل:

- لم أكن يومًا سببًا في إيذاء إنسان، بل كنت حريصًا على تحرّي عملي جيِّدًا كي لا أوذي أحد، حتى في حالتك، كنت أحسب أنني أخدمك، بمراجعة ملفك الوظيفي وجدت أنَّ حرمانك مِن شَقَّتك سيؤدي لحصولك تلقائيًا على شَقَّة مماثلة أو أفضل، ولسبب ما لم يحدث هذا، لم يعرض عليك أحد البديل الإفتراضي، لذلك جئتك ببديل أفضل.

- بديل دمَّر حياتي كلها..

- صدقني أنني لم اتقصَّد هذا، فجأة وجدتك شاة عمياء وسط قطيع ذئاب.

- ذئاب؟ مَن تقصد؟ الشرطة؟

- الشرطة وسواهم، الجميع يتلاعب بك ويقودك لتحقيق أهدافه، وأنت تسير معهم كالشاة العمياء، ولقد جئت لإنقاذك مِن براثنهم، يجب أنْ تفِرّ يا (عابد).

بُهت (عابد)، كرر:

- أفِرُّ؟!

أكَّد الخبير بإيماءة.. بكلامه:

- نعم، يجب أنْ تفِرّ.

من بهْت إلى ذهول، كرر (عابد):

- أفِرّ؟! إلى أين؟

- إلى خارج المدينة، بعيدًا عن هنا.

- وبيتي وعائلتي وخطيبتي وعملي، كيف أترك كُلّ هذا؟!

- الأمر الآن بين حياتك وبين ما تقول.

لاح بصيص أمل في زاوية عقل (عابد)، قال:

- لا، لن أفِرّ، أعرف كيف أنقذ نفسي.

بإشفاق.. بأسف.. قال الخبير:

- كلَّا، لا تعرف، ومن تحسبه أنَّه سينقذك هو من سيسرع بك إلى نهايتك، الضابط (سمير) في معسكر الأعداء، وأنت وسيلة تحقق أهدافه، وسيلة لن يكون في حاجتها الأسبوع القادم.

مدهوشًا نظر إليه (عابد)، سأل:

- الضابط (سمير)! أتعرفه؟

برأسه ولسانه، أجابه:

- أعرفه وأعرف الجميع، لقد حاول الإيقاع بي سابقًا، وهو يحاول من جديد باستخدامك، يجب أنْ تفِرّ قبل بداية الأسبوع القادم يا (عابد).

سطع الفهم في حبة الفول، فقال في ظفر:

- آه، تريدني أنْ أفِرّ حتى تنجو بنفسك!

نفى الخبير برأسه، وقد زاد إشفاقًا على إشفاق، قال:

- أبقيت أنت أم ذهبت لن يستطيع أحد الوصول إليَّ، خلال يوم أو يومين سيتصلون بك لتفعل أمرًا، يبدو لك بسيطًا ولكنه سيكون البداية لحمام دم.

تلاشى الظفر وراء الخوف، سأل:

- حمام دم! ولماذا؟

بأسف أجابه الخبير:

- لأنَّ الجميع له أهداف يسعى لتحقيقها مهما كان الثمن، سيطلبون منك الانضمام إلى مظاهرة، وأنْ تُلقي حجرًا على الشرطة، لتُفتح أبواب الجحيم.

- لن أفعل ذلك.

- تفعله، لا تفعله، لن تختلف نهايتك، يحتاجون قربانًا، وأنت هذا القربان.

عاد الصمت بينهما، ليقطعه (عابد) بخوف.. بحيرة:

- أفِرُّ؟ إلى أين؟ كيف؟ ماذا عن خطيبتي؟

- تفِرُّ إلى خارج المدينة، هناك لن يستطيع أحد الوصول إليك.

- كيف؟ تحتاج إلى تصريح خاص لبوابات الخروج، الطرق التقليدية تنتهي جميعًا بجدران عالية من الفولاذ، بل المدينة كُلّها محاطة بأسوار عالية من الفولاذ.

- ساصطنع لك تصريحًا لمغادرة المدينة عبر بوابات الأرياف، تستطيع هناك الاختفاء في الأرياف ولن يستطيع أحد العثور عليك.

- وخطيبتي؟

- المهم أنْ تغادر الآن إلى شَقَّتك وتعد أشياءك للفِرار، وبعد ساعة سيصلك التصريح مع خريطة انتقال لمسار مفتوح، ستسمح لك بالانتقال بسهولة دون انتظار.

شعر الخبير أنّه يحدَّث نفسه وهو ينظر إلى (عابد)، والحقيقة أنَّ شعوره له نصيب من الحقيقة، (عابد) في عالم آخر.. يفكر في حياته.. شريط حياته يمر أمام عينيه.. طفولته.. صباه.. شبابه.. عمله.. زملاؤه.. أصدقاؤه.. أصدقاء؟! لا، لا يملك أصدقاء، رُبَّما أصدقاء الطفولة، ويراهم في العقد مرَّة.. أقرباؤه.. خطيبته (بُثَيْنَة)!! يا إلهي.. ماذا سيصيبها؟ كيف يتركها ويذهب؟ كلا، أنَّه ليس ممن يغرقون في العاطفة.. ليس أبلهًا كي يعيش قصة عشق.. ولكن (بُثَيْنَة) الإنسان الوحيد في حياته الذي شعر بأنَّه منه، إنسان يفتقده.. إنسان يحتاجه.. إنسان يرغب في وجوده في حياته.. يشعر بالراحة لرؤيته.. في الحديث إليه.. كيف يتركها ويرحل؟! لكن البقاء يعني الموت.. لقد خالف قانون الطوارئ.. وهذا يعني الموت.. كان يظن أنّه أصبح في حماية السُّلطة والقانون.. لكن هذا يقول أنَّه ألعوبة في يد الجميع.. ألعوبة حان التخلص منها.. (عابد).. (عابد).. يتخلصون منه ب.. (عابد).. من هذا الذي ينادي؟..

التفت إلى الصوت، دُهش.. لوهلة لم يعرف أين هو؟.. ثم تدارك الأمر.. ورد وهو ينظر في عيني الخبير القلقتين:

- ماذا؟ نعم، بُثَيْنَة.

دُهش الخبير، سأل:

- بُثَيْنَة؟! (بُثَيْنَة) من؟

بحدة أجابه (عابد):

- بُثَيْنَة خطيبتي، ماذا عنها؟ ماذا سيحدث لها؟ أرغب فيها معي.

لحظة قصيرة من الصمت، وعيون تتبادل نظرات الأموات، تبعها قول الخبير:

- لتنجو بنفسك يا عا...

- أريد (بُثَيْنَة) معي.

منزعجًا، قال الخبير:

- لننقذك أولًا، ثم ننظر في أمر (بُثَيْنَة).

بعناد حمار يركض إلى الهاوية، قال (عابد):

- أريد (بُثَيْنَة) معي، لن أهرب وأتركها خلفي.

بصبر، قال الخبير:

- اذهب قبل فوات الأوان، وأعدك أنني سأجد طريقة لتلحق بك قريبًا.

رفع (عابد) ساعده وهو يقول:

- سأعطيك هاتفها وعنوانها.

وضع الخبير يده على عضد (عابد)، قال:

- لا أحتاجه، أعرف كيف أصل إليها.

تبادلا النظرات لثوان عجولة، قبل أنْ يهب (عابد) من مقعده ويندفع نحو الباب، لا يشغل باله سوى الفرار.. الفرار بعيدًا..

*** * ***

8- المطاردة

صمت خبير الشرطة وهو يفكر بعمق، في مكتبه المليء بعشرات الشاشات الفراغيّة، التي تنقل لع صور الأماكن الحيوية والهامة في المدينة، وعلى مقعد مقابل جلس الضابط (سمير)، لم يقاطع الأخير صمت الأوّل، حتى تكلم الخبير، قال:

- أبسط تفسير هو أنَّه يستخدم صورة إنسان خامل، بهذا يستطيع أنْ يظهر في مكان ما مستخدمًا صورة الخامل لحجب صورته الحقيقية عن أنظمة الرصد، وإضافة صورته الحقيقية لنظام الرصد في مكان آخر، دون أنْ يثير الشبهات حوله، أو يحدث خطأ في الإحصاء.

بحذر قال الضابط (سمير):

- إنسان خامل؟

الخبير:

- تعبير نستخدمه للإشارة لإنسان لا يغادر مكان إقامته كثيرًا، كالقعيد والعجوز والمريض وأصحاب الحوادث، وأصحاب المهن ذات الإقامة الطويلة في مكان العمل، قد يكون صاحبك يستخدم صورة أحدهم لحجب صورته الحقيقية، ولن يكتشف نظام الرصد حدوث تكرار، وفي نفس الوقت يستخدم صورته الحقيقية لحجب صورة شخص آخر في مكان آخر، ليوحي إليك بأنَّه هناك.

مدهوشًا سأله الضابط (سمير):

- هل يستطيع فعل ذلك؟

الخبير:

- نظريًا نعم، وفعليًا مستحيل، لتفعل ذلك يجب أنْ تكون محترفًا في اختراق الأنظمة، وهذا ممكن، ولكنَّه يحتاج منك السيطرة التامة على النظام الذي يدير المدينة، ومعرفة عشرات قواعد البيانات، وكل واحدة منها تحتاج جهد هائل لاختراقها ومعرفة محتوياتها، وهذا يحتاج وقت طويل جدًّا، والمخترق عادة يضرب هدفه في وقت قصير جدًّا يُقاس بالثواني، حتى لا يُكتشف أمره عاجلًا.

كرر الضابط (سمير) مستفهمًا:

- عاجلًا؟

أومأ الخبير برأسه:

- غالبيتهم يتم اكتشاف أمرهم بواسطة البرامج الأمنية أو في فترات المراجعة، حيث يتم اكتشاف عمليات مجهولة المصدر أو تأخير زمني غير مبرر، وبعد فترة تصل إلى ساعة من زمن الاختراق.

تأمَّل الضابط (سمير) في كلام الخبير، وأخذ يديره وينظر له من جميع الجوانب، والخبير يحترم صمته، حتى قطعه بنفسه:

- ما هي الجهات التي تستطيع الوصول إلى النظام وجميع أجزائه بدون قيود أو محاسبة وفي نطاق القانون.

الخبير:

- جهتان فقط، رئاسة الشرطة ومُحافظة المدينة.

كرر الضابط (سمير):

ـ مُحافظة المدينة؟

قبل أنْ يؤكد له الخبير برأسه، ارتفعت طرقات على باب مكتبه، فعلا صوته يدعو الطارق للدخول.

دخل الضابط (حسن) وبلا مقدمات قال وهو ينظر إلى الضابط (سمير):

ـ لا نجده، بحثت عنه في كل مكان، لم أعثر عليه.

لوهلة لم يدرك الضابط (سمير) ما يتحدث عنه زميله، ثم فطن للأمر، قال:

ـ لعلَّه في بيته.

الضابط (حسن):

ـ لقد رصده النظام وهو يدخل بيته..

وأكمل حديثه بنبرة ذات مغزى:

ـ وحين اتصلت به لم يرد، فاستخدمت نظام الطوارىء فلم يجد أحدًا في شقته، ولم يسجل نظام الرصد خروجه من شَقَّته.

تفكَّر الضابط (سمير) في كلامه، والتفت إلى الخبير قائلًا:

ـ أريد منك العثور على شخص.

شدَّ الخبير بدنه في مقعده، ويده تشير بهات ما عندك، وقال:

ـ أعطني رقمه التعريفي.

أملاه الضابط (حسن) الرقم التعريفي لـ (عابد)، لتظهر صورة الأخير كبيرة واضحة على شاشة فراغيّة ضخمة، وظهر مؤشر البحث يتحرك قبل أن يتوقف وتظهر صورة (عابد) وهو يسير في أحد شوارع المدينة مع اسم الحي والشارع.

هتف الضابط (حسن):

- هذا هو، كيف لم يرصد النظام خروجه..

استوقفته يد الضابط (سمير) عن إكمال حديثه، وصاحبها يوجه الحديث للخبير:

- كيف نعلم أنَّ هذا هو رجلنا، وليس رجلًا آخر عليه صورة صاحبنا.

بدا التفكير جليًا على وجه الخبير، والاستغراب على وجه الضابط (حسن)، قال الخبير ببطء:

- الحل السهل والسريع هو تتبع مسار الشخص إلى نقطة البداية.

أشار له الضابط (سمير) بأنْ يفعل ذلك، ليتم عرض صورة (عابد) عكسيًّا كأنَّك تعيد لقطة مصورة للوراء، استمر إعادة المشهد حتى لحظة دخوله إلى محطة قطارات ليتوقف المشهد مع رسالة وصوت يقول "خطأ غير مفهوم، لم يتم العثور على الهدف".

بإشارة من يد الخبير أخذ الجزء الأخير من المشهد يتكرر وهو يعرض صورة شخص ما وملامحه تنقلب إلى صورة (عابد).

هتف الضابط (سمير):

- انَّه زائف.

الخبير والانبهار في صوته:

- يا إلهي، غاية البراعة في التزوير، فعلت هذه الخطوة ولم أظنَّها ستنجح.

بغيظ هتف الضابط (حسن):

- الوغد، إنَّه يخدعنا.

كتم الضابط (سمير) ما يجيش في صدره، وسأل الخبير:

- هل يمكنك اكتشاف اخطاء أخرى كهذا الخطأ؟

الخبير:

- نعم، يمكننا ذلك، الشرطة تستخدم أفضل برامج الذكاء الاصطناعي، لكنه سيحتاج وقتًا طويلًا.

بإشارة من يد الضابط (سمير)، انهمكك الخبير في إصدار أوامر صوتية، واستغرق البحث فترة طويلة، طويلة جدًّا، حتى صاح الضابط (حسن):

- ماذا يحدث؟ لقد جاوز الساعة، لقد عثر عليه في المرة السابقة في أقل من دقيقة.

الخبير:

- المرَّة السابقة كان يبحث عن شخص واحد نعرف رقمه التعريفي، هذه المرَّة يرسم المسار العكسي لكل شخص سار في شوارع المدينة هذا اليوم.

الضابط (سمير):

- لا نحتاج من ساروا في شوارع المدينة هذا اليوم، فقط منذ اختفاء هذا ال...

قاطعه الضابط (حسن):

- نعم، فقط من سار في شوارع المدينة منذ ثلاث ساعات، في الحي العاشر.

شرع الخبير في تعديل الأوامر السابقة، لينتـهي البحث في دقائق قليلـة، مع رسالة نصية وصوتية "لم يتم العثور على أخطاء في النظام"

- كيف؟ كيف لم يتم العثور على أخطاء؟

هتف الضابط (حسن) بالعبارة في غيظ.. في حَنق.. أما الضابط (سمير) فسأل الخبير:

- كيف يحدث هذا؟

الخبير:

- إذا صاحبكم موجود فعلًا ويتحرك في المدينـة، فهذا يعني أنَّ الشخص المعني يتم طمس آثاره وإزالتـها مِن النظام فورًا بدلًا من استبدالـها.

الضابط (سمير):

- كيف نكتشف هذا؟

لم يتكلم أحدهم لبرهة، تلتها هُنيهة تلتها صيحة الخبير:

- وجدتـها..

***

سار (عابد) نحو الضابط عند بوابة العبور، وقلبه يدق كألف طبل، أشار لـه الضابط إشارة مميزة، فرفع رأسه ورفع كفه اليمنى وبسطه كأنَّه يؤدي قسمًا ما، ونظر نحو نقطة انبعاث الشعاع الأزرق الساقط على عينيه، وبدأت بوابة العبور تفتح ببطء، و(عابد) يتقدم نحوها، كان يفصله عنـها

أقل من عشرة أمتار ولكنها بدت لـ (عابد) كعشرة أميال، وفجأة بدأت بوابة العبور تغلق، وصوت ضابط البوابة يقول في صرامة:

- انتظر.

كدجاجة رأت ابن آوي، التفت (عابد) إلى الضابط، وبلسان لم يعرف الماء منذ ملايين السنين، قال:

- م.. نعم، حضرة الضابط، هل.. هل هناك شيء ما؟

الضابط:

- أنا أسأل سيادتك، هل هناك شيء ما؟

حاول (عابد) أن يرسم ابتسامة على وجهه، فخرجت ابتسامة حي صحا من نومه ليجد نفسه مدفونا، وأصوات الناس مِن فوقه تدعو له بالرحمة، قال بصعوبة:

- ل.. لا، أنا منفعل جدًّا.. ل.. لزيارة أقربائي ف.. في الريف.

كان يعطي الضابط أسبابًا للشَّك فيه، وقد أيقن الضابط أنَّ من يقف أمامه هو مجرم اغتصب النساء وقتل الأطفال واستمتع بتعذيب الرجال، بعد أن سرق أموالهم ودمرّ بيوتهم، لذلك أشار إلى حجرة جانبيه، قال بصرامة:

- أرجو المعذرة من سيادتك، ولكنني أرغب في إجراء فحص إضافي.

نظر (عابد) إلى الضابط نظرة الذبيح، وأدار بصره نحو الحجرة الجانبية، وسار نحوها وهو يحمل الثقلين على كاهله.

وفي الحجرة، جلس على المقعد أمام المكتب الصغير في استسلام تام، استسلام دجاجة يغازلها سكين الجزَّار.

* * *

قال الخبير في حماس صيَّر لعابه مطرًا يتساقط على الضابطين:

- قواعد البيانات.

الجهل في عيني الآخرَين، دفعه للإيضاح أكثر:

- كل ما يتم رصده وتسجيله يُحفظ في قواعد البيانات، للرجوع إليه في المستقبل، وهذا يعني أنَّ العمليات السائدة هي الإضافة، وطمس آثار صاحبكم يعني أنَّ هناك عمليات حذف تحدث باستمرار.

لم يتغير حال الرجلين عن الجهل، فانتقل للخلاصة:

- سنبحث في قاعدة بيانات الرصد عن عمليات الحذف.

لم ينتظر منهما تعليقًا، وبدأ في تنفيذ فكرته، التي أُوتِيت ثمارها في ثوان، فأطلق صيحة ظفر:

- هذا هو، لقد أضاف تعليمة حذف تلقائية، تعمل مع الرقم التعريفي لصاحبكم، إيقااف.. هه.. هذا هو صاحبكم.

ونقلت شاشة فراغيّة صورة لـ (عابد) وهو يجلس في مكان ما.

- أين هو؟

صاح بها الضابط (حسن) واللهفة في تعصف بسؤاله، بعد قليل أجابه الخبير والدهشة في كلماته:

- في مكتب ضابط العبور، عند البوابة في القسم الرابع الخاص بالأرياف.

بسرعة رفع الضابط (حسن) ساعته، ليصدر أمرًا بالقبض على (عابد)، والضابط (سمير) يقول:

- ما الذي دفعه للفرار؟ ماذا حدث؟

أما الخبير، قال والعجب في نبرته:

- حقًا، لكل جواد كبوة ولكل عالم هفوة.

نظر إليه الضابط (سمير)، مستفهمًا وسائلًا:

- ماذا تقصد؟

أجابه الخبير وهو على حاله:

- ذلك الخبير.. لقد أضاف تعليمة حذف تتكرر ويمكن اكتشافها، بدلًا من منع عملية الإضافة التي من المستحيل اكتشافها.

الضابط (سمير):

- رُبَّما لم يجد وقتًا لذلك.

وافقه الخبير:

- حتمًا.

أشار الضابط (حسن) لشريكه، قال:

- هيا بنا، دعنا نعرف ماذا أصاب الوغد.

وانطلقا للإمساك بطريدتهما..

* * *

في مكان ما من المدينة

* * *

جلس خبير الأنظمة الأمنية يشاهد ما في حجرة خبير الشرطة، حتى الجزء الأخير من حوارهم، غمغم:

- لقد جعلتها تعليمة حذف واضحة، حتى لا تسلك طريقًا لا أعرفه، وكي تكون إنذارًا حين اكتشافها.

وواصل يحدث نفسه:

- لنحذر صاحبنا مما هو آت.

وضغط قرص الخاطرة على جبينة، القرص الذي ينقل خواطره للنظام، بدلًا من الإشارات والأوامر الصوتية.

وتألق القرص.. وأصبح الخبير والنظام كيانًا.. واحدًا..

* * *

انهمك الضابط في مكتبه الصغير، يراجع الملف الخاص بـ (عابد)، الذي جلس في مقعده مُحبطًا مستسلمًا.

شعر (عابد) بذبذبة ساعته، شعر بأنَّه لا يملك القوة، لرفع يده من حِجْره وقبول الاتِّصال، وبدون أمر منه ظهرت شاشة فراغيّة صغيرة، وقريبة من

الساعة وعليها رسالة واضحة "اهرب الآن، وبأي ثمن، أنَّهم في الطريق إليك، سأفتح لك بوابة العبور الآن"

- ماذا هناك؟

سأله الضابط دون أنْ يرفع نظره عمّا أمامه، وبصوت متحشرج:

- تذكير بموعد زيارة صديق، نسيت إبلاغه بأمر زيارتي لأقربائي.

لم يهتم الضابط بحديثه، وواصل ما يقوم به، والتفت (عابد) إلى البوابة وهي تفتح ببطء، ورفع الضابط رأسه إلى شاشة فراغيّة تنقل إليه صورة البوابة وهي تفتح، وهتف الضابط:

- ماذا يحدث؟

هتاف الضابط كان إشارة البدء لـ (عابد)، ليهب واقفًا ويركض نحو البوابة، متجاهلًا أوامر الضابط بالتوقف، ركض بهمة.. بقوة.. بعزم.. الخوف والذعر أشعراه بأنه يجري في مكانه.. وأنَّ البوابة بعيدة.. بعيدة.. تتقدم إليه ببطء شديد.. الأمر أشبه بكوابيسه المعتادة.. حين يفِر من عدو غامض.. وساقاه لا تطيعانه.. بل مكبلة تتحرك ببطء شديد..

وعبر بوابة العبور.. ومن ورائه اختلط صوت الضابط مع عدة أصوات تأمره بالتوقف وأخرى تطلب منعه من العبور..

وجد نفسه في بهو واسع، وقد اصطفت على جوانبه مقصورات صغيرة، تكفي الواحدة مِنها شخصًا واحدًا..

ماذا يفعل؟ لم يغادر المدينة يومًا.. ولا يدري ماذا يفعل..

لذلك هتف لنفسه بيأس والأصوات مَن خلفه تدخل البهو:

- ماذا أفعل؟ ماذا أفعل؟

بيأس استمر في الجري نحو الركن البعيد، وانبعث صوت الخبير من ساعته يهتف:

- ادخل أقرب مقصورة إليك، أقرب مقصورة بسرعة.

انحرف نحو أقرب مقصورة إلى يمينه، ودار الجزء الأمامي منها حولها ليصنع بابا لها، وبلا تفكير وثب (عابد) داخلها، واستدار ليزداد ذعرًا وهلعًا وهو يرى عشرات رجال الشرطة خلفه.. بل على بعد خطوات منه.. يركضون خلفه.. وامتدت الأيدي لتمسك به و.. وعاد الجزء المُزاح يدور بقوة ليعود مكانه، ويحجز (عابد) داخل المقصورة، ويمنع الشرطة خارجها..

وراقب (عابد) - والهلع لا يتركه- ضابط العبور مع رجال الشرطة يحاولون فتح الباب أو تحطيمه..

شعر بالوهن يسري في جسده، واليأس يغمر قلبه وهو لا يدري ماذا يفعل؟.. هل سيبـ.. قطع نهر الخوف واليأس انبثاق شاشة فراغيّة أمامه مع رسالة نصية وصوتية:

- انتقال إلى جهة لم يتم التَّعرُّف عليها، ثلاثة.. اثنان.. واحد..

وغشي بصره نور ساطع، نور أرغمه أن يُغلق عينيه حتى غاصتا عميقًا في مخه...

استمرَّ مغمض العينين لمدة حسبها دهرًا، حتى بلغ مسمعه صوت باب ينزاح وآخر يقول:

- لقد بلغت وجهتك، نتمني لك أوقاتًا طيبة.

ببطء فتح عينيه، لم يميّز شيئًا في بداية الأمر، ثم بدأت الأمور تتضح شيئًا فشيئًا.. الخوف والفزع اللذان لم يفارقاه عادا يكتمان أنفاسه.. ما رآه كان مُذهلًا.. مُذهلًا ولا يغيِّر من الحقيقة شيئًا.. لقد فرَّ من الموت.. إليه..

تمَّ بحمد الله الجزء الأوّل

ويليه الجزء الثاني

الأبواب: السِّرُّ



البُسْتان
1

انظروا لهذا المجرم بأم أعينكم

لا تجعلوا صورته تغيب عن أذهانكم

المزرعة

قِصَّةٌ حقيقيةٌ

إبراهيم محمد

1- المشروع

- حسنًا، لنعمل مزرعة دجاج، هذا هو مشروعنا.

استقبلت بغبطة وسرور موافقة أمي على مشروعي العظيم.. مزرعة دجاج و.. ودجاج رومي.. لقد اعترضت أمي كثيرًا على مشاريعي، وموافقتها هذه المرة كانت مفاجأة سارَّة.. بل رائعة.. لا أجد تفسيرًا لموافقتها هذه المرة سوى خبرتها في تربية الطيور المنزلية، نعم هذه هو السبب ولا ريب، أخذني الحماس واندفعت أخبرها بأفكاري حول مزرعتنا العظيمة، المزرعة التي ستغزو العالم، وتغني العالمين عن المزارع الأخرى، حين ترغب في تناول الدجاج، ستُخبر زوجتك أو النادل أو من يعد طعامك بأن الدجاج يجب أن يكون مزرعتنا، ولن تقبل بأي دجاج آخر.

لكن أمي رفعت سبابتها في تحذير واضح، وقالت بحكمة لقمان:

- نبدأ صغارًا ونصير كبارًا.. نبدأ صغارًا ونصير كبارًا.

هو ما تقولين يا أمي الحبيبة.. هو ما تقولين يا أمي الحبيبة، كان طموحي مزرعة عرضها ثلاثون مترًا، وطولها مائة متر، ولكنْ حكمة أمي أولًا والإمكانات ثانيًا جعلا عرضها أربعة أمتار وطولها ستة أمتار، أسمع البعض يشهق ويقول أن حمام منزله أكبر من مزرعتي، فإذا تجاوزنا مبالغته فأنني أُذَكِّر بقول أمي (نبدأ صغارًا ونصير كبارًا) وأمي لا تنطق عن هوى، بل عن خبرة السنين، سيقول الفلاسفة (لقد بدأتم أجِنَّة وليس صغارًا)، فأذكره بسورة الإنسان، حيث يقول رب العالمين

{ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا (1) إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا (2) }

انظر كيف بدأ الإنسان وإلام صار!

هُرعت إلى العمل وبكل همة ونشاط بدأت العمل، أخترت قطعة أرض مناسبة من أرضنا الصغيرة، لكي أبني مزرعتي العظيمة.

حفرة هنا.. حفرة هناك.. عمود هنا.. عمود هناك.. صفيحة هنا.. صفيحة هناك.. شيء هنا.. شيء هناك.. أرنب هنا.. أرنب هناك.. كلمة هنا.. كلمة هناك.. جملة هن... ماذا؟ يبدو أنَّني نسيت نفسي..

المهم أنَّني أكملت بناء مزرعتي، وجعلتها مكانًا فاخرًا وحصينًا لدجاجي الحبيب، سيقول السُذج - وما أكثرهم - وماذا عن الفئران؟، أهزُّ رأسي بإشفاق - ورثاء لحالهم - وأُجيب بتواضع:

- لم أنس هذا.

لقد حفرت الأرض حتى عشرين سنتيمترًا، ووضعت شبكة من الحديد، ثم طمرتها بالرمال ولن تستطيع فئران الدنيا وذئابها أنْ تتسلل إلى دجاجي الحبيب.. أنني استخدم أفضل وآخر صيحات الأمن والتقنية في بناء مزعتي. وجعلتها قسمين، تفصلهما شبكة معدنية، قسمان.. أمامي وخلفي.. الأمامي للدجاج الرومي والخلفي لدجاج المزارع.. وباب صغير يصل القسمين.. لماذا الدجاج الرومي؟ لضمان جميع الأذواق.. من لا يحب دجاج المزارع فعليه بالدجاج الرومي..

"دع الحيرة يا (عبد الرحيم) وهات دجاج من مزرعة (إبراهيم)"، هذا هو النموذج الأوَّلي للإعلان الذي سيهز العالم، وستراه كل ثانية أمامك.. حتى تقسم بالله كلما رأيته أنَّك لا تشتري سوى دجاجنا المُبارك.. ولكن لا يزال الوقت مبكرًا على ذلك.

مزرعتي لا شرقية ولا غربية، بل تُدخل الهواء العليل على دجاجي الحبيب من الشرق والغرب والشمال، من خلال شِباك حديديّة، والصيف على الأبواب، وماذا عن الشتاء؟.. لكل حادثة حديث..

وضعت المعالف والمساقي، وصار المكان مُعدًا ومجهزًا لاستقبال.. دجاجي الحبيب.. والدجاج الرومي..

*   *   *

2- الضيوف

كل شيء معد لاستقبال ضيوفي الكرام، رغم اعتراض البعض على كلمة (ضيوف)، لذلك تجدني واقفًا أمام منزلنا، انتظر في لهفة عودة أمي من سوق يوم السبت، وهي تحمل الفوج الأول الذي سنفتتح به العمل في مزرعتنا..

لماذا لم أذهب أنا إلى السوق؟.. أتعبني هز رأسي إشفاقًا عليكم.. أسفًا لسذاجتكم.. أمي من تملك الخبرة في الطيور.. وعمل ينجزه واحد فلم نحتاج اثنين؟ هه؟ لم؟ و..

لقد جاءت أمي.. ها هي السيارة تتوقف.. وتنزل منها أمي وعليها ثياب الخروج..

هنا لا بد من التوقف لوصف ثياب خروج النساء في ذلك الزمن الجميل، وهي ثلاث قطع، الأولى ثوب طويل من العنق إلى الكعبين، والثانية قطعة كاملة الاستدارة من الخصر إلى الكعبين ويمسكها على الوسط مشد مطاطي، وتُسمى (الداير) وأظنها تحريف عن الدائر لأنها تحيط بدائر الجسد تمامًا، والثالثة قطعة مربعة وتضعها على رأسها وتصل حتى الأفخاذ وتنسدل فوق (الداير)، وتمسكها أمي بيدها اليسرى بطريقة تغطي بها نصفها العلوي، وتحجب وجهها فلا تبقى سوى فتحة واحدة لعين واحدة كي ترى بها طريقها.. أما العين الثانية فلا داعي لها ما دامت الأولى تكفي، وتُسمى بـ (القُنْعة) وأظن القصد منها القِنَاع.

القصد من هذه الثياب هو أنْ تبدو المرأة ككتلة سوداء فقط، تُخبر أنَّ أسفلها شخص ما.

نزلت أمي ونزل السائق ليعطيها صندوقين صغيرين من حقيبة السيارة، ملهوفًا.. مشتاقًا تناولت منها الصندوقين.. الأول فيه عشرة فراخ من الدجاج الرومي، والثاني يحتوي أكثر من عشرين فرخًا من دجاج المزارع الأبيض.. سأتجاهل شهقات الدهشة والاستغراب منكم، وقول بعضكم أنَّه يعيش في وسط المدينة ويملك على سطح بيته خُمَّ دجاج به ضعف هذا العدد، وأستعير سلوك أمي، فانظر إليكم مؤنبًا، وأرفع سبابتي محذرًا، وأتكلم ناصحًا فأقول (نبدأ صغارًا.. ونصير كبارًا، نبدأ صغارًا.. ونصير كبارًا، نبدأ صغارًا.. ونصير كبارًا).

هُرعت إلى مزرعتي حاملًا الصندوقين، ووضعتهما على الأرض بسرعة وعدت مسرعًا كي أعين السائق على إنزال كيس العلف، كيس العلف الذي سنُطعم منه طيورنا الحبيبات.

ولكن وجدت السيارة تنطلق مغادرة وأمي آتية تحمل كيسًا صغيرًا، قلت في لوعة:

- لقد رحل السائق مع العلف.

نظرت أمي إليَّ مستغربة وقالت:

- أي علف! هذا هو العلف معي.

وناولتني الكيس الذي تحمله، ووزنه لا يتجاوز ثلاثة كيلوجرامات، نظرت إلى الكيس مصعوقًا، ثم نظرت إلى أمي، لأجدها اتخذت الهيئة المعروفة لكم

الآن، نظرة تأنيب.. سبابة تحذير.. القول الحكيم (نبدأ صغارًا.. ونصير كبارًا)، رحمها الله رحمة واسعة، لقد كانت الحكمة تمشي على قدمين، وترى من الغد ما لا تدركه بصائرنا..

هدَّت الصدمة كياني، فتناولت منها كيس العلف الصغير، وسرت إلى المزرعة وقد بلغت من العمر عتيًّا، وأخرجت الفراخ من صناديقها إلى براح المزرعة.. مزرعتي..

*** * ***

3- الصدمة

خرجت الفراخ وأخذت تسير في أرجاء المزرعة.. ثم توقفت.. وشرعت تنظر إلى ألواح الصفيح.. إلى الشِباك المعدنية.. إلى الرمال تحتها.. إلى وجوه بعضها.. إلى وجهي..

لم استطع مواجهة نظراتها الذاهلة.. المصعوقة.. لذلك خفضت نظري في خجل وأنا اسمع أفكارها تصدح في رأسي.. ما هذا الهُرَاء؟.. أين القصور؟.. أين الأنـهر الجاريات؟.. أين المآدب العظيمات؟.. أين الجواري الحسان؟.. أين؟.. أين؟.. أين؟..

لم أرفع نظري إليهن كي لا أواجه عيونـهن الصغيرات، واكتفيت بطأطأة رأسي وتشاغلت بوضع العلف في المعالف.. حتى فرغت.. فأجبرت نفسي على رفع بصري إليهن.. فوجدتـهن قد وقفن جميعًا أمام المعالف.. تنظر إليها.. تنظر.. إلى بعضها.. تنظر إليَّ.. في غضب.. في احتقار.. في اشمئزاز..

أدركت الحقيقة.. حقيقة ما أصابهن.. أدركت أنَّـهن ضحايا خديعة.. أدركت الصدمة..

* * *

◾ هذا المشهد من خيالي، وأنَّني موقن أنَّ هذا ما حدث، رغم اعتراض أصحاب القلوب القاسية، التي ترى بعيون كفيفة، وتسمع بآذان صماء، قلوب لا تسمع حديث الأرواح..

نفرت الفراخ الصغيرة من أيدي التاجر السمينة، وتكأكأت متلاصقة في ركن القفص، وعلا صراخها، أدرك التاجر ما يحدث، فأعاد يده إليه، وقال:

- ماذا هناك؟ لم الخوف؟ ماذا حدث هذه المرة؟

نظرت الفراخ إلى الكتلة السوداء الواقفة على باب المتجر في ذعر، قبل أن يستجمع كتكوت منهن شجاعته، ويتقدم في شجاعة قائلًا:

- لن نذهب مع هذه الكتلة السوداء.

نظر التاجر إلى الكتلة السوداء الواقفة على باب المتجر، ثم التفت إلى فراخه، قال:

- ماذا عنها، إنَّها سيدة طيبة ترتدي ثياب الحشمة.

نظرت الفراخ إلى الكتلة السوداء في شك، قبل أن يقول إحداها:

- هذه.. هذه سيدة؟..

وقال آخر:

- وما شأن هذه السيدة بدجاج المزارع، لتذهب إلى الأسواق الشعبية، ستجد الدجاج البلدي، أنَّه يناسبها.

وانبرى كتكوت آخر يقول:

- ومنذ متى تعمل النساء في مزارع الدجاج؟

التاجر مُدرك أنَّ زبائنه من رجال المزارع، وندر أن تأتي النساء إلى تاجِر جملة لشراء دجاج المزارع، بل تذهب إلى تُجَّار التجزئة، بغرض الطعام وليس التربية، ولكن هذه السيدة تريد كمية قليلة جدًّا من الفراخ، وهو يريد التخلص من هذه الكمية الفائضة من إحدى الصفقات، لذلك قال مؤكدًا:

- هذه السيدة تعمل في مزارع الدجاج.

ومال نحو الكتاكيت وأردف بهمس ونصح:

- يجب عليكم اغتنام الفرصة، هذه السيدة تريدكم أنتم فقط، لا تريد الكثير منكم فقط أقل القليل.

نظر إليه كتكوت في شك، سأل:

- وأي فرصة هنا كي نغتنمها؟

أجابه التاجر والخبث يتساقط من كلماته:

- سيدة بسيطة.. تريد أعدادًا قليلة.. هذا يعني أنَّها تريدها للتسلية.. وهذا يعني مكانًا فاخرًا بدلًا من تلك الأقفاص النتنة.. ولائم ضخمة من الحبوب والأعلاف بدلًا من تلك الوجبات الصغيرة.. ماء عذب.. كأنَّكم في الجَنَّة..

بين التاجر والكتلة السوداء سعت نظرات الكتاكيت ذهابًا وأيابًا، كأنَّها في إحدى حلقات الصوفية، تريد أن تصدق أنَّ هذه الكتلة السوداء تملك ما يقوله التاجر.. نعم، ترغب في التصديق.. ولكن الكتلة السوداء لا تُخبر بشيء.. لا بخير ولا بشر.. لا بنعيم ولا جحيم.. كتلة سوداء فقط.. والتاجر هو من سيحسم الأمر، ولن يكون من أمرهن سوى الانصياع.. الأمر رهن بمفاوضات السعر بين التاجر و.. والكتلة السوداء..

من رحمة الله بالكتاكيت، أنَّها لا تملك أفكارًا أو خلفية مُسبقة عن الكتل السوداء، وارتباطها بعوالم الخوف والرعب، ولعل هذا ما ساعد على إتمام الصفقة.

قال كتكوت مشاغب في شَّك عظيم:

- هذه!.. هذه تملك القصور والجواري الحسان.. ومآدبًا عظيمةً.. وأنـهارًا جاريةً..

لم يقل التاجر ذلك، ولكنَّه يخدم غايته، فقال:

- نعم، وهل أكذب عليكم.

أراد كتكوت أن يقول له: "إنَّك تبيع بضاعتك بحلف اليمين"، ولكنه أمسك نفسه في اللحظة الأخيرة..

اندفع كتكوت جرئ نحو التاجر وصاح:

- لن نذهب.

ذهب الصبر عن التاجر، فقال في حزم:

- بل ستذهبون، شئتم أم أبيتم.

اندفع كتكوت آخر يصيح:

- على جثتي.

نظر إليه التاجر بلا مبالاة، وبهدوء قال:

- فليكن.

أنه ليس أحمقًا أو مجنونًا كي يحاور كتاكيت، ولكنه يستخدم العادة السائدة في هذا الزمان والمسماة "الديموقراطية"، وهو يعلم أنَّه عند مصلحته سينقلب عليها.

دار جدال صاخب بين الكتاكيت، انتهى إلى ترك الأمر للتاجر، لقد مارسوا الديموقراطية، ولكن النتائج أمر آخر، يجتهد اللاعبون للفوز، ولكن حتمية الفوز أمر آخر.. تمامًا.

أمسك التاجر بفرخ من جناحيه، وسار إلى الكتلة السوداء وهو يقول:

- والله يا حاجَّة، كتاكيتي أفضل الطيور، والله..

سيحتجُ أكثركم على هذا المشهد، وسيصفونه بالإغراق في الخيال، كتاكيت تتحدث.. ديمقراطية.. الخ.. ولكن هذا ما رآه قلبي.. فهل تراه قلوبكم..

*** * ***

4- الغزاة

كل يوم أذهب للمزرعة ثلاث مرات على الأقل، أضع الحبوب والعلف والماء، وأمنع نفسي من النظر في عيون الفراخ.

كانت عيونها تلقي حمم الاتهام عليَّ، وكأنَّني أنا من خدعتها وأغريتها بالمجيء إلينا، مع كل حبة شعير.. مع كل قطعة علف.. تلتقطها وتنظر إليَّ في اتهام، لذلك وجدت نفسي في مرة من المرات أصيح في غلٍ وغضب:

- أنا لم أخدعكن.. لم أكذب عليكن.. لم أقل لكم أنَّني أملك قصرًا أو مزرعة ضخمة فخمة.. أنا أطعمكم أفضل ما أملك..

لم تتغير نظرتهن.. ولم تتبدل.. واصلت عملي بغضب.. ثم تركت المزرعة إلى البيت الذي يبعد عنها قرابة عشرة أمتار..

* * *

رغم الانكسار والإحباط واصلت عملي في المزرعة بهمة ونشاط، لن أنكر أنَّ طبيعة العمل مشابهة لتربية الدجاج المنزلي، ولكن مع اهتمام أكبر وتغذية أفضل، ورعاية مستمرة، الأعداد القليلة لم تعطني شعورًا بأنَّني صاحب مزرعة، والحقيقة أنَّني لم أطلب من أمي زيادة العدد واكتفيت بالموجود، وأقنعت نفسي باكتساب الخبرة والتجربة من هذه المجموعة الصغيرة، قبل الانطلاق في المشاريع العملاقة.

وفي صباح يوم من الأيام، حملت مؤونة الصباح إلى المزرعة، وفتحت الباب ودخلت.. ومددت يدي لـ.. لأجدهم أمامي.. بعيونـهم الوقحة.. بألوانـهم الزاهية.. بأقدامهم القذرة.. الدجاج.. الدجاج المنزلي..

*** * ***

يجب أن أتوقف هنا للحديث عن الدجاج المنزلي والمشهور بـ (الدجاج البلدي)، ولا أحب استخدام كلمة "بلدي" لما فيها من ظلم وإجحاف بحق المجتمع.

طبعًا أمي تقوم بتربية الدجاج المنزلي، ومنه اكتسبت الخبرة في تربية الطيور، لقد كانت خبرة مميزة، لا أجد لها مشابهًا، إلا خبرة من يعمل في خدمة اللصوص والرعاع وقُطَّاع الطرق.

ولا أجد كلمة مناسبة في قواميس اللغة تصف الدجاج المنزلي حق الوصف، إنَّ كلمات مثل بذيء.. فاسق.. جلف.. لا تعطيه حقه، رُبَّما الكلمة العامية "صايع" هي من تعطيه وصفًا قريبًا من حاله، فلا عمل له طوال اليوم سوى التسكع هنا وهناك ونبش الأرض بحثًا عمَّا يُؤكل، يفعل ما يفعله بعيدًا عن آداب السلوك، حتَّى أنَّ دجاجة فعلتها - بكل وقاحة- أمامي، وحين نهرتها ورميتها بحجر، رفرفت بجناحيها ونقنقت كأنَّها تقول "يا دلعدي"، مرة أخرى لا أجد سوى العامية للتعبير الدقيق.

لأبدأ من البداية، يعيش الدجاج المنزلي في خُمٍّ وهو بيت بلاستيكي نصف قطره متر وارتفاعه متر وشيء ما، وقبل أنْ تتعالى صيحات الشجب والاستنكار منكم، على ظروف المعيشة التي لا تليق بهذه الطيور (اللطيفة)، ويبدو أنَّ أكثركم سيصبح رئيسًا لمنظمة الأمم المتحدة، أو عضوًا مهمًا في جامعة الدول العربية، فأقول له (في حماس):

- أنَّ هذا المسكن (المتواضع) هو للمبيت فقط، وحماية للدجاج من الفئران، وسواهم من الأعداء.

سيعاند بعضكم ويقول في شمَّم:

- ولو..

بالله عليكم.. كأنَّكم تضعون طيوركم في قصور وأنتم على أبوابها حراس، هذا الكلام لا يُجدي نفعًا مع العم (إبراهيم).. لنُكمل الحكاية..

تأتي أمي في الصباح وتفتح له باب الخُمِّ، فتلقي له حفنة من الشعير.. هل رأيتم هذا؟.. هل رأيتم هذا؟.. هذا ما يفعله بكم أكل الدجاج.. يجعلكم من أهل النقنقة.. لا تنتظرون حتى أُكمل حديثي، بل تقاطعونني وتهاجمونني قبل وضوح الصورة.. نعم حفنة من الشعير.. ويخرج طوال النهار يسترزق من براح الأرض وخيراتها الوفيرة، أي حرية أعظم من هذا!.. أي عدالة بشرية تنافس هذا!.. أي رحمة إنسانية تعدل هذا..

يأكل الشعير ويخرج.. والعياذ بالله.. لا يترك قيد أنملة من الأرض حتى ينبشه بمنقاره.. بمخالبه.. يفعل ذلك ويرفع رأسه ينظر شزرًا.. وعيونه

تسأل بوقاحة "عمّ هنا لك؟".. ويعود للنبش.. لا يترك مكانًا.. لا يعرف حدودًا.. الكل مباح.. وملك له..

حتى بيتنا نفسه يستبيحه في غفلة منّا.. يقف على الباب.. يصيخ السمع.. حتى إذا اطمأنّ وظن البيت خاليًا.. دخل يتبختر.. يدخل البهو ثم يتبختر إلى المطبخ.. ليعيث فسادًا فيه..

وكم مرة وجدته.. فأمسك له المكنسة وانقضّ عليه بها.. وهو يفر منها ذات اليمين وذات الشمال.. اللعين.. ما أبرعه.. لا تصل له ضربة واحدة من مكنستي وركلاتي.. يتقافز فوق أكياس الطحين.. فوق موقد الغاز.. فوق رف الأطباق.. حتى يجد الباب لينطلق منه إلى البهو ثم إلى الخارج..

ولا كلمة.. ولا حرف.. أي حقوق طير؟.. وأين حقوق الإنسان؟!.. لقد أصابكم مرض (الأوروبين).. وهو مرض اخترعته أنا وجاءت تسميته من الأوروبيين، لأنّهم يتشدقون بحقوق الطيور والحيوان والحشرات.. أما الإنسان فليس له حق عندهم إلّا الشجب والاستنكار..

هذا الدجاج المنزلي تجرّد من جميع المحاسن الأخلاقية، وكم من مرة مارس السِفَاد أمامي بكل وقاحة، وبدون خجل.. لا يتخذ له مكانًا بعيدًا أو معزلًا متواريًا.. بل حين تأتي الشهوة يفعلها بلا تأخير أو حياء.. والحمد لله أنّه لا يتكلم لغة البشر ولا يستطيع استخدام أدواتهم.. وإلا نصب آلة تصوير وأخذ يرفع مجونه على شبكة الإنترنت كل وقت وحين..

لعل ما يشفي الغليل، هو نهايته المحتومة في بطوننا، أنّها عدالة تناسب نمط حياته الفاجر، طعمه اللذيذ ومرقه الرائع، هما فقط ما يكفران عن

عيوبه ومساوئه، ويجعلان له شيء من المحاسن.. لقد نسيت البيض.. نعم أنَّ بيض الدجاج البلدي له طعم لذيذ وفوائد جمَّة..

ورغم هذه العيوب جميعًا، فأنَّه يتمتع بعناية أمي، وتحرص على وضع الماء له، وإعطائه حفنة شعير في الصباح، وحفنة شعير في الغداء.. كي يبقى حيًّا.. أما الكماليات فعليه توفيرها بنفسه لنفسه.. وتأكدوا أنَّه يهتم بنفسه خير اهتمام..

أسمع أصوات "أها" من بعضكم، كأنَّه اكتشف سرّ الأسرار، أو أنَّه طبيب بارع في الطب النفسي، وسيقول حتمًا أنَّ حياة الفقر والعوز هي السبب في الانحراف السلوكي والسقوط الأخلاقي للدجاج المنزلي.. فأرد عليه:

- كلّا، وألف كلّا، كم من فقراء في هذه الدنيا، لم يزدهم الفقر إلا أدبا وحسن خلق.

ولا أنسى القول في هذا الموضع، بأنَّ لهذا الدجاج المنزلي شجرة أثل عملاقة، له وحده، يستظل بظلالها نهارًا، وينام على أغصانها ليلًا، نعم.. ينام على أغصانها ليلًا.. خُمّه يُستخدم في أوقات إزدهار الفئران والجرذان والكلاب.. لأجل حمايته فقط.. ولا أعلم.. أمي تحمي مَن مِن مَن؟..

وهذه هي حقيقة الدجاج المنزلي.. كلّا لم أظلمه.. لقد قلت الحقيقة كما رأيتها.. والله على ما أقول شهيد..

*** * ***

5- الخاتمة

أصابني الهلع من رؤيتها وعيونها الوقحة، في هلع ألقيت كل ما في يدي، وهُرعت إلى أمي في المنزل، وبذعر صحت:

- أمي، دجاجك في المزرعة.

بتؤدة.. بتمهل.. بصبر.. بحكمة.. نظرت إليَّ، قالت:

- أنا من وضعتها هناك.

زاد هلعي ووجدت نفسي أصيح:

- لماذا؟

سردت أمي حزمة من الأسباب، تشمل توحيد الجهود وتقليل النفقات، ورفع الكفاءة وزيادة الفاعلية.. استمعت لها وعقلي يسبح في عالم آخر.. عالم العدمية.. عالم لا شيء فيه سوى اللون الأبيض.. وصوت أمي يأتي من بعيد، يفسر ويعلل ويوضح..

لقد أدركت الحقيقة.. لا توجد مزرعة.. لا يوجد مشروع.. فقط.. هي زيادة في دجاج أمي.. تحسين الموجود فقط.. ليس هناك أفواجًا أخرى.. المتسع الموجود تم الاستيلاء عليه من قبل الرعاع.. لن يكون هناك متسعًا لجديد..

واستدرت وصوت أمي يعمل كخلفية لأفكاري، وقد رُددت إلى أرذل العمر.

وضعت العلف في المعالف، ولك هنا أنْ تتخيل ما حدث، لقد هجم الدجاج المنزلي على المعالف.. بوحشية وعنجهية تليق به.. يفتك بالعلف وكأنَّه لا يصدق وجود هذا العلف في الدنيا، يأكل وعيونه تنظر في جشع إلى ما حوله.. وترصد من يجرؤ على التقدم.. وتراجع دجاج المزارع في ذلة

وانكسار.. كيف يستطيع مواجهة هذه البربرية؟.. الهمجية.. هؤلاء الرعاع..

لم يتوقف الدجاج المنزلي عند الشبع.. بل حتى لم يبق من العلف شيئًا في المعالف.. وعندها ذهب يتمطى.. وينظر حوله يتأمل.. ونظر لدجاج المزارع وبوقاحة سأل:

- لماذا لم يشاركنا الأخوة الإفطار؟

ولم ينتظر جوابًا من دجاج المزارع المسكين، ورفع مخلبه ينكش منقاره من آثار الإفطار.. وأكمل:

- الخير كثير، واللقمة كانت طيبة.

مرة أخرى لم ينتظر جوابًا، وأخذ يسير وقد عاد سيرته الأولى.. ينبش الأرض كل قيد أنملة.. حقًا.. لقد "عَادَتْ لِعتْرِهَا لَمِيسُ"..

بعد حين أُصيب دجاج المزرعة بمرض غامض، ورغم محاولات إنقاذه، وشراء الأدوية.. إلّا أنَّها فشلت جميعًا.. والكل يتساءل عن كنه المرض.. إلّا أنني عرفته.. أو أحسب أنَّني أعرفه.. أنه الحزن والقهر.. ورُبَّما الجوع.. وأخذ الدجاج يتساقط الواحدة تلو الأخرى.. حتى فنت جميعًا.. أمي تقول أنَّه الحسد.. الحسد؟ ومن أين جاء؟ إنَّ المتهمين في هذا الأمر اثنان، أنا أو أنا.. ومن يحسد ماله.. لا تقل "لا يحسد المال إلّا أصحابه ".. الحسد: هو تمني زوال النعمة، ومن هذا الأحمق الذي يتمنى زوال ماله!..

الدجاج المنزلي؟.. لا يبدو أنَّه يعلم أنَّ في هذه الدنيا شيء اسمه مرض، لقد واصل حياته كأنَّ المُصاب في كون آخر.. واستولى على المكان وكل شيء لنفسه.. ولا أخفي عنكم أنَّني شعرت بشماتته.. حين انظر إليه يطأطأ رأسه.. ويقول بحزن مصطنع:

- لا حول ولا قوة إلّا بالله.. دُنيا.. لا دائم إلّا وجه الله..

وحين أفاجئه بنظرة خاطفة، أجد السرور على وجهه وقد انهمك في ثرثرة سعيدة مع أقرانه.. وأراه يتبختر سعيدًا وقد أصبح المكان ملكًا له..

يصيح بعضكم ويقول:

- هذا جنون.. أنت حتمًا مجنون.. الدجاج لا يتكلم.. هذه خيالات إنسان مريض..

أعود مرة أخرى.. فأذكركم بحديث الأرواح.. رُبَّما لم يتكلم الدجاج بمنقاره.. ولكن وجداني سمع ما يقوله من هيئته وتصرفاته..

وبعد حين أصاب الديكة الرومي ما أصاب دجاج المزارع، حتى لم يبق سوى ديكًا واحدًا.. وكان طعمه لذيذًا..

وهذه هي قصة المزرعة، وقد حذفت منها أجزاءً كثيرة لأنَّها لا تهم سواي..

تمت



قِصّة العنوان

روايةٌ خلاعيّة

إبراهيم محمد

مقدمة

هذه رواية قصيرة.. هذه مسرحية.. هذا خيال.. هذه واقعية.. هذه سطحية.. هذه قراءة عميقة للواقع.. هذا تناقض مختلفين.. كل هذا لا يهم.. إنَّها شيء في نفسي ورغبت في إخراجه على الورق.. فكتبته..

"إنَّ من يحبك قد يحب أبغض ما فيك، ومن يبغضك يبغض أحب ما فيك"

إبراهيم محمد

1- المحكمة

امتلأت قاعة المحكمة بالحضور من جميع أطياف الشعب وطبقاته، كُلّ منـهم ينتظر النظر في قضيته، في هذا اليوم الحار من أيام الصيف، ويتمنى ما يأمله ويرجوه، القاتل يأمل عفوًا كريمًا عن جريمته، وأنْ يخبره القاضي بعيون دامعة بأنَّه بطل، وقد أراح البشرية من شرور القتيل وإفساده في الأرض، السارق يأمل عفوًا مع قصيدة مدح، وأنَّه إنَّما استرجع حقه من العباد بلطف يُظهر كرم أخلاقه، ومن أكل الميراث أنَّما أخذ ما أخذ عدلًا وإحسانًا، وعلى غرارهم الباقون.

وأعلن الحاجب قدوم القاضي، فنـهض الحضور أدبًا واحترامًا فعسى أنْ يرى القاضي منهم، ما يسرّه فيقضي ما في نفوسهم، دخل القاضي وأتخذ مقعده، وجلس الحضور، وأمر القاضي الحاجب بالنداء على القضيَّة الأولى، قضيَّة الحق العام، المرفوعة من قبل الشعب وممثلهم محامي الإدعاء (محمود حسني) ضد المُدعى عليه الكاتب (عطوة عطوة) الشهير بـ (عطعط)، والحاضر معه محامي الدفاع (شفيق عامر).
طلب القاضي من محامي الإدعاء التقدم وعرض دعواه، ليثب محامي الدفاع عن مقعده، يقول:
- أرجو من عدالة المحكمة السماح لي، بقول كلمة قصيرة أذكر بها نفسي قبل عدالتكم بأمر لا يغيب عنَّا جميعًا.

بوقار يليق بقاضٍ، أشار له القاضي بأنْ يتكلم، فانطلق:

- إنني في هذه الساعة العظيمة من هذا اليوم المشهود، أذكِّر نفسي والحضور قبل عدالتكم التي لا تحتاج تذكيرًا، بعظمة المهمة المُلقاة على عاتقنا، والغاية التي نسعى لتحقيقها، وهي إظهر الحق وإزهاق الباطل ورد الحقوق لأصحابها ونشر العدل بين الناس، بل بين الخلائق جميعًا، على اختلاف ألوانهم وأعمارهم وألسنتهم، كي ينعم الخلق بالأمن والسلام والطمأنينة، ولا يمكن أن تتحقق هذه المهمة إلا بأنْ نسمو جميعًا ونتخلى عن كُلّ ما من شأنه أنْ يُفسد هذه المهمة أو يعطلها أو يحرفها عن تحقيق غايتها، فلا نسمح لمصالح شخصية وأنساب وعلاقات مهما بلغت من المودة والقرابة بتعطيل الغاية التى نسعى إليها جميعًا، وأذكِّر نفسي والحضور وعدالة المحكمة بقول الله تعالى الذي لا يغيب عن أذهاننا في الآية الثامنة والخمسين من سورة النساء من كتاب الله (القرآن الكريم)

{ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا }

والآية الثامنة من سورة المائدة من كتاب الله (القرآن الكريم)

{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ }

العدل يا نفسي، العدل أيُّها الحضور، العدل يا حضرة القاضي المُبجَّل، العدل يا جدران هذه المحكمة الموقرة، هذا كُلّ ما لديَّ حضرة القاضي، شكرًا لوقتكم، شكرًا لحضرتكم، شكرًا.. لعدالتكم.

ارتجَّت قاعة المحكمة بالتصفيق الحار من الحضور، فالكُل مظلوم يسعى للعدالة، والظالم هو الآخر.

القاتل لم يقتل، بل الضحِيَّة هي من وضعت نفسها في طريق سلاحه الذي يسلك به أسْنانه، فلم يجد وقتًا ليدرأ عنها الموت، السارق كان يسير في شأنه الخاص، فإذا بيت فلان يعترض طريقه، والبيت بكل وقاحة يندفع نحوه ويميل على جانبه، ليجد السارق نفسه قد دخل البيت من نافذته، ويواصل البيت ألاعيبه حتى يجد المُتهم البريء الذهب والمال يطيران من مكمنهما إلى قبضته، ثم ينسحب البيت، ليجد الشرطة تقبض عليه، من المجرم؟ هو؟ أم البيت؟ أم المال والذهب؟ لقد رغبا في قبضته، ولم يتح له الوقت لنهْرهما وطردهما قبل وصول الشرطة، مَن المجرم؟

طرق القاضي بمطرقته، حتى عاد الهدوء إلى قاعة المحكمة، ونظر إلى محامي الدفاع، ونظر.. ونظر.. ونظر.. وذاك يفرّ من اللهب وراء أوراق ملفّ أمامه، و.. وأخيرًا تكلَّم القاضي، بهدوء، بوقار، قال:

- أشكر محامي الدفاع على تذكيرنا بما لا يحتاج تذكيرًا، ونؤكّد بأنَّنا لن نسمح لأي أمر بأن يحرفنا عن رسالتنا الأسمى لنشر العدل ورد الحقوق لأصحابها، مهما كان الثمن.. من مصالح شخصية، أو علاقات خاصة.... أو صلة قرابة........ .... ليتفضَّل محامي الاِدعاء بعرض دعواه.

نهض محامي الاِدعاء، وأصلح هندامه، وكما هي العادة، قال:

- سَيِّدي القاضي، أطلب من عدالتكم الصدر الرحيب، وأن تأذُن لي كما أذنْتم لزميلي محامي الدفاع بفسحة صغيرة من الوقت لعرض الأسباب التي أوجبت هذه الدعوى، وفرضت أهميتها، وجعل منها - بلا مبالغة - قضيَّة العصر، وتمسُّ كُلّ إنسان، ليس في بلدنا، بل في كُلّ مكان في العالم، وذلك قبل البدء في عرض تفاصيل الدعوى.

القاضي:

- تكلَّم واختصر.

محامي الاِدعاء وقد أصابه الانتشاء فضاق به مكانه، وعلا صوته:

- سَيِّدي القاضي، السادة الحضور، لماذا هذه القضية؟ لماذا هذا الاهتمام برواية خلاعية...

وثب محامي الدفاع عن مقعده، هاتفًا:

- سَيِّدي القاضي، أعترض على كلمة "خلاعيّة"، فلم يثبت ذلك بعد.

محامي الاِدعاء:

- أرجو من عدالة المحكمة عدم السماح بمقاطعتي، وتأجيل اعتراضات محامي الدفاع إلى النِّهاية.

كأستاذ في مدرسة ابتدائية، يقرِّع طالبين مشاغبين، أشار لكليهما، إشارات ذات معنى، فجلس محامي الدفاع، وواصل محامي الاِدعاء:

- رواية يمكن سحبها من الأسواق، وتحذير وتأنيب صاحبها وناشرها، لماذا؟ لماذا؟ هل هي نكاية بالكاتب وبنجاح روايته؟ هل هي الغيرة والحسد؟ كَلَّا سَيِّدي القاضي، كَلَّا أيُّها الحضور الكرام، لنرجع سنينًا طويلة إلى الوراء..

هنا نظر القاضي إلى محامي الاِدعاء، وأشار له بالإقتراب من منضدته، فدار ذاك حول المنضدة أمامه، واقترب بحماس من القاضي، الذي مال نحوه، وللهمس أقرب، قال:

- سنينًا طويلة إلى الوراء؟!! انظر إلى قاعة المحكمة، انظر للحضور.

بجهل يليق بعاقبته، نظر محامي الاِدعاء إلى قاعة المحكمة المُزْدحِمة، ودارت عيناه فيها من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، ثم عادتا إلى وجه القاضي، الذي وبَّخه:

- كُلّ هؤلاء الناس لهم مصالح وقضايا تنتظر منَّا البتَّ فيها، وأنت تريد الرجوع سنينًا طويلة إلى الوراء!! اختصر ولا تهدر وقت المحكمة.

محامي الاِدعاء:

- معاذ الله أنْ نعطِّل مصالح الناس وسير العدالة، ولكن هذه المقدمة لا بد منها، وتوضَّح للناس أهمية القضيَّة وأبعادها سَيِّدي القاضي.

القاضي:

- اختصر.

وبسبابته والوسطى أشار له بالعودة إلى مكانه فعاد، وأكمل:

- أعود بكم إلى سنين انتشار الفساد والرذيلة والفسوق في الأرض، نعم الأرض، لا نتحدث عن حيّ ولا مدينة ولا دولة، بل الأرض كُلّها، وما جلبته من خراب الفِطْرة وانحراف النفس عن السلوك القويم، وانتشار أمور نعلمها جميعًا ونتحفَّظ من ذكرها مراعاة لمشاعر الحضور الكريم، أمور لم يخلُ منها بيت ولا حاسوب ولا هاتف محمول، أمور عانى منها الجميع، كانت صورة ثم صارت سلوكًا مسلوكًا، وفسدت المجتمعات، وهرولت نحو هاوية النهاية المحتومة لكل من ترك الدين والقيَّم والأخلاق، وأوشكت البشريَّة على الضياع والفناء، لولا أنْ تدارك العقلاء الأمر، وهبَّوا جميعًا لإنقاذ البشريَّة من هلاك محتوم، وخاضوا معركة طاحنة ضد الشيطان وحزبه، معركة شرسة طويلة دامية، كانت فيها مَعِيَّة الله مع الحق وأهله واضحة لكل ذي بصيرة، معركة انتهت بالنصر على أحباب الرذيلة وأعداء الفضيلة، ونجت البشريَّة من هلاك محتوم وضياع بلا رجعة، معركة انتهت بوعد وعزم على عدم تكرار ما حدث، ومحاربة ومعاقبة كُلّ من يحاول الانحراف بالبشريَّة عن السلوك القويم، وهذا سَيِّدي القاضي..

ومد ذراعه كرمح نصله سبابته، وأشار إلى الكاتب الجالس بجوار محامي الدفاع، وهو يخرج من طور الصياح إلى الصراخ:

- هذا يريد بنا العودة إلى سنين الفساد والرذيلة، براوية يشجِّع فيها على المجون وترك الأخلاق..

أراد محامي الدفاع أنْ يهبَّ من مقعده ليعترض، ولكن نظرة صارمة من القاضي فتَّت في عضده فارتخى في مقعده، ومحامي الاِدعاء يواصل الصراخ:

- ألم يقرأ هذا الكاتب الآية الثالثة والثلاثين من سورة المائدة من كتاب الله عز وجل (القرآن الكريم)

{ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِى ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَـٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡىٌ فِى ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِى ٱلۡأَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ }

هل قرأها ونسيها؟ أم والعياذ بالله تجاهلها ؟ يريد الإفساد في الأرض بروايته التي سماها "اللقاء"، لقاء الشرّ، لقاء المجون، لقاء الرذيلة، سَيِّدي القاضي أنَّني أطلب من عدالتكم حذف حروف الألف واللام والقاف والهمزة من حروف اللغة العربية، لقد أصبحت حروفًا ملوَّثة، ملوَّثة بالمجون، ملوَّثة بالرذيلة.

القاضي والهدوء حاله:

- معذرة منك، ل. .ستطيع تنفيذ رغب.ت ك. .حمق.

وضع محامي الاِدعاء سبابته خلف أذنه اليسرى، قال:

- معذرة سَيِّدي القاضي، يبدو أنَّني لم أسمع حضرتكم جيّدًا.

القاضي:

- لا عليك، أكمل.

محامي الاِدعاء وقد عاد للاِنتشاء من جديد:

- كما أسلفت سَيِّدي القاضي، لقد لوَّث ذلك الكاتب حروف اللغة باسم روايته، وبهذا أبدأ سرد الرذائل التى امتلأت بها روايته، ومن الغلاف البداية.

* * *

2- الغلاف

ورفع بيمينه الرواية عاليًا وأدارها ليراها القاضي والحضور، وهو يقول:

- انظر سَيِّدي القاضي، انظروا أيُّها الحضور الكريم، انظروا يا أهل الفضيلة، وأخبروني ماذا ترون؟

تعالت الهمهمة من الحضور، ووضع القاضي نظارته على عينيه، وأشار إلى محامي الاِدعاء بأن يقترب بما في يده، فركض ذاك إليه مادًا الرواية أمامه، كتلميذ يهرع بشهادة تفوقه إلى والديه.

أمسك القاضي بالرواية، ونظر إلى الغلاف وتأمل وتأمل، وأبعده قليلًا عن وجهه وزاد في التأمل تأملًا، ثم نظر إلى محامي الاِدعاء، قال:

- ماذا عن الغلاف؟

محامي الاِدعاء في مداهنة:

- سَيِّدي القاضي.. والقاضي سَيِّدي..

وعلا صوته وهو يكمل:

- ماذا نرى سَيِّدي القاضي؟ ماذا نرى أيُّها الحضور الكريم؟ نرى يدًا تعانق أخرى، يد تعانق أخرى سَيِّدي القاضي، يد تعانق أخرى أيُّها الحضور، يد تعانق أخرى أيُّها العالم، ي...

قاطعه القاضي زاجرًا:

- دعك من العالم، وأوضح مقصودك، لا تضيِّع وقت المحكمة.

تراجع محامي الاِدعاء خطوة إلى الوراء، وبالخبث جعجع:

- سَيِّدي القاضي، والقاضي سَيِّدي، لن نذهب بعيدًا ونرمي الناس بالباطل، بل سنفترض أنّ هاتين اليدين هما يد رجل وامراة، وليس شيئًا آخرًا والعياذ بالله، هل هناك دلالة أو علامة تخبر أو تدل أنَّهما يدا رجل وزوجته، كَلّا سَيِّدي القاضي، كَلّا، لقد تعمَّد الرسّام أو الفنان هذا، لنشر الرذيلة بين الناس، سَيِّدي القاضي أنَّه يقول للناس: لا حرج أن تمسك يد رجل بيد امرأة لا يجمعهما رباط الزواج المقدس...

قاطعه صياح محامي الدفاع، يقول:

- سَيِّدي القاضي، الكاتب لم يرسم ولا يرسم، أنَّه مسئول عمَّا كتبه بيمينه فقط.

بخبث، كصقر ينقض على فرخ دجاج، التفت إليه محامي الاِدعاء، وبابتسامة ذئب بريء على خطمه دماء نعجة، قال بهدوء:

- نعم، يا زميلي العزيز، الحق ما تقول، الكاتب لم يرسم ولا يرسم.

وقبل أنْ يهنأ نِدّه بالغلبة، أكمل:

- ولكن عادةً تُرسل نسخة من الرواية إلى الكاتب، في هيئتها النهائية التي ستُنشر بها، لأخذ ملاحظات الكاتب على الشكل النهائي، وهذا يعني أنَّ الكاتب رأى، رأى ووافق يا زميلي العزيز على صورة الغلاف وكُلّ ما تحتويه الرواية من الغلاف.. إلى الغلاف، وافق على المجون.. وافق على الخلاعة.. وافق على الرذيلة..

محامي الدفاع:

- سَيِّدي القاضي، ما يقوله الزميل هو أمر ظنّي وليس حتميًّا أو يقينيًّا، واستشهد بالكلمة التى قالها الزميل "عادة"، "عادة" لا تعني الوجوب سَيِّدي القاضي، وأطلب من عدالة المحكمة عدم الأخذ بما ذكره الزميل.

القاضي:

- ليُكمل محامي الاِدعاء حتى نستطيع البتَّ في هذا الأمر.

وأشار لمحامي الاِدعاء أنْ يقترب منه، فاقترب ذاك، فأشار له القاضي أن يقترب أكثر، فاقترب حتى أوشكت أرنبة أنفه أن تلامس أرنبة أنف القاضي، الذي فحَّ كأفعى وجدت عُشًّا مليء بالفراخ:

- أقسم بالله إن عدت إلى هذا الهُراء، فسأقضي بحبسك شهرًا كاملًا في أقذر سجون البلد.

وبأطراف أصابع قبضتة المضمومة، دفع الرواية نحو محامي الاِدعاء، وهو يكمل:

- انصرف إلى مكانك.

وأغلب الظنّ أنَّه أراد القول "أغرب عن وجهي" أو "غُرْ من أمامي" ولكنَّ مقامه الرفيع وشأنه العظيم وهيبة المكان منعته من ذلك.

أمّا محامي الاِدعاء فقد اختطف الرواية بيمينه وتراجع خطوة إلى الوراء، ثم استدار عائدًا إلى مكانه فرار حُمر مستنفرة فرَّت من قسورة، التقط أنفاسه، وأدرك أنَّ قاعة المحكمة حارّة جدًّا رغم المراوح الكبيرة التي تدور في سقف قاعة المحكمة، وانتظر حتى عاد إلى سيرته الأولى:

- سَيِّدي القاضي.. والقاضي.. سَيِّدي، بعد جريمة الغلاف وما بها من رذيلة، سأنتقل بكم إلى الصفحة التالية من الرواية.

* * *

3- أوراق بيضاء

رفع الرواية مفتوحة على الصفحة الأولى، وكما فعل في المرّة الأولى، دار بها من القاضي إلى الحضور وعاد بها إلى القاضي، وهو يصيح:

- حضرات القضاة والمستشارين.. السادة الحضور.. انظروا.. انظروا بأم أعينكم.. لقد طبع هذا الكاتب الجالس أمامكم روايته الماجنة على أوراق بيضاء.. أوراق بيضاااااء. أوراق بيضاء يا حضرات القضاة.. أوراق بيضاء أيها الناس.. أوراق بيضاء أيها الحجر.. أوراق بيضاء أيها الشجر.. أوراق بيضاء أيها الأنس.. أوراق بيضاء أيها الجن.. أوراق بيضاء يا أهل الأرض.. أوراق بيضاء يا أهل السموات.. يا للهول.. يا.. للهول.. يا......... للهول.

هاجت قاعة المحكمة وماجت وعلت أصوات الحضور، وطافت كلمة (بيضاء) على جميع الألسن، والكاتب ينظر حوله وحاله دجاجة بين الذئاب وقد زاغ بصره وذهب عقله، القاضي يطرق بمطرقته ليعيد الهدوء، واستمر حتى ساد الصمت، وشبك أصابعه وانتظر حتى أكمل الهدوء وضع لمساته على وجهه، قال:

- السَّيِّد (محمود).. محامي الادِّعاء.. أولًا قضيَّتك لا تحتاج أكثر من قاضٍ، ولا وجود للمستشارين، ثانيًا نحن جميعًا نسمعك بوضوح ولا داعي للنَعِير، ثالثًا هذه قاعة المحكمة وليس مسرح (يوسف وهبي) لذلك احتفظ بمواهبك التمثيلية للمسرح وليس هنا، رابعًا من الطبيعي أن تُطبع المطبوعات على

أوراق بيضاء، في عالمك الخاص.. كيف تُطبع المطبوعات؟.. على أوراق العنب؟.. مثلًا!

احنى محامي الادِّعاء قامته وهو يبتسم وقال في تزلف:

- سَيِّدي القاضي.. والقاضي.. سَيِّدي.. إنَّني أعلم أنَّ حضرتكم تنهلون العلم من كُتب تناسب مقامكم، وهي حتمًا لعظمة شأنها تُطبع على أوراق بيضاء، ولكن عالم القصة والرواية عالم مختلف.

وعاد للنهيق ~عذرًا أعني عاد للصياح~:

- لذلك أطلب استدعاء الشاهد الأول، الشاهد الذي سيخبر عدالة المحكمة عن الجريمة البشعة التي ارتكبها هذا الكاتب المجرم بحق الأوراق البيضاء، حين طبع روايته الخلاعيّة عليها.

قفز محامي الدفاع عن مقعده في رشاقة تحسده عليها القرود، وهتف بقوة:

- سَيِّدي القاضي أنني اعترض على مناداة موكِّلي بلقب (المجرم) أو أي لقب يسيء إلى مكانته.

أشار القاضي بسبابة التحذير نحو محامي الاِدعاء، قال:

- اعتراضك مقبول، الصفة القانونية التى يُنادى بها المدعو (عطوة عطوة) من اختصاص المحكمة بعد النظر في القضيَّة وإصدار الحكم، على محامي الاِدعاء احترام ذلك.

احنى محامي الاِدعاء رأسه في تملُّق:

- أرجو العفو من عدالتكم، فقد نطقت بما لا حق لي.. الآن.. وحين انتهى من مرافعتي، فإن ظنِّي أنَّ عدالتكم سترى الأمر كما أراه.

في هيئة أقرب للاشمئزاز، قال القاضي:

- العدالة ترى المنطق والأدلة والبراهين، وليس الأوهام والأهواء، فلا تنطق عنها ولا بلسانها.

واضح للجميع أنَّ القاضي يرغب في وضع محامي الاِدعاء حيًّا في وعاء زيت، وطهيه على نار هادئة، وعمل مأدبة يدعو إليها ضوار الأرض جميعًا.

وأمر القاضي الحاجب بالنداء على الشاهد الأول..

*** * ***

4- الشاهد

- الاسم (عبد العزيز صالح)، أعمل في شركة (هذا هو الإبداع) مُخرجًا للمطبوعات، وأملك خبرة خمس وعشرين سنة في عملي.

محامي الاِدعاء:

- شكرًا، شكرًا يا (عبد العزيز) على هذا التعريف الرائع بشخصك، ولكن.. ولكن يا (عبد العزيز)، أيُّها الشاهد الكريم، هل تشرح لسيادة القاضي ولي وللحضور الكرام طبيعة عملك بطريقة سهلة وبسيطة؟

شدَّ الشاهد (عبد العزيز) قامته القصيرة، وتأكد من ضبط ربطة عنقه، وهو الشاهد المهم في قضيَّة العصر،

نظر إلى الكاتب الجالس بجوار محامي الدفاع كطفل يلوذ بأمه من (العو) والغول، قال له:

- مُعجب، مُعجب كبير.

بغيظ قال محامي الاِدعاء:

- سَيِّد (عبد العزيز)، أرجو منك شرح طبيعة عملك، وتأجيل إعجابك لوقت آخر.

نظر الشاهد إلى محامي الاِدعاء، وبلوم في عينيه، قال:

- طبيعة عملي حضرات القضاة والمستشارين..

أراد القاضي تصحيح كلام الشاهد، الشاهد الذي يأخذ معرفته بالمحكمة من التلفاز والسينما والمسرح ككاتب هذه السطور، ثم أصابه السأم من ذلك، فهز رأسه وأشار بأصابعه للشاهد بأن يكمل، فأكمل:

- حين يأتينا ناشر بكتاب لطرحه في الأسواق، فإننا ننظر في مادة الكتاب أولًا هل هي علمية أم ترفيهية؟ وحجمها والجمهور المعني بهذه المادة من حيث الفئة العمرية والنوع، وفي ظل هذه الاعتبارات نحدد حجم الكتاب ونوع الورق ولونه والرسوم وطبيعتها ودرجة وكثافة الألوان المُستخدمة، ونوع الخطوط المُستخدمة في طباعة النص، وأمور أخرى غير ذلك، بحيث يخرج الكتاب مناسبًا وجذّابا للجمهور المعني.

رفع محامي الاِدعاء كفيه بمحاذاة كتفيه، وبابتسامة قال:

- رائع يا (عبد العزيز)، لقد أوجزْت وأوضحت، أعذرني على مناداتك باسمك مجردًا من الألقاب، أشعر بالألفة معك، كأنَّني أعرفك منذ أمد بعيد.

تنحنح القاضي ليُذكره بأنَّه في المحكمة، وليس في مقهى (علي بابا)، أما الشاهد فإشارة من يده قالت إنَّه لا يهتم بذلك كثيرًا.

محامي الاِدعاء:

- عبد العزيز، (عبد العزيز) يا صديق العدالة، أرجو منك المعذرة إذا طلبنا منك الإفصاح عن بعض أسرار عملك، ولكن هذا لأجل العدالة، العدالة يا صديق العدالة (عبد العزيز)، هل يمكنك أنْ تشرح لنا ما تفعله لو جاءتك رواية كرواية "اللقاء" للكاتب (عطوة عطوة) ؟

إشارة يدي الشاهد أخبرت أن لا جديد يذكر، وأكَّد لسانه:

- كما قلت سابقًا، ننظر للمحتوى وجمهوره ونقرر الشكل الذي ستخرج به لجمهورها.

محامي الاِدعاء:

- هل قرأت رواية "اللقاء" للكاتب (عطوة عطوة) الشهير بـ(عطعط) ؟

ابتسم الشاهد، قال:

- نعم، قرأتها.

والتفت إلى الكاتب، وأردف:

- مُعجب، مُعجب كبير.

زجره محامي الاِدعاء في هفوة ليست من مصلحته:

- دعنا من الإعجاب بروايته، وأخبرنا.. لو عُرضت عليك هذه الرواية، ماذا سيكون الإخراج المناسب لها؟

في ضيق، والضيق حاله، قال الشاهد:

- الأمور لا تتم بهذه الطريقة، الأمر يحتاج إلى تمهُّل ودراسة ثم وقت لإيجاد أفضل إخراج يناسب المحتوى والجمهور، هذا فنٌّ يا أستاذ.. هذا إبداع.. لقد أخطأ الأستاذ (عطوة) حين لم يختر شركتنا لإخراج روايته.

وألقى نظرة لوم إلى الكاتب، ونظرة اعتذار وأسف كانت ردًا عليها، أما محامي الاِدعاء:

- عبد العزيز.. عبد العزيز.. عبد العزيز.. يا صديق العدالة.. أنا أعلم أنّ طبيعة عملك لا تقل تعقيدًا عن العمل في المفاعلات النووية..

صاح الشاهد:

- مفاعلات نووية؟ مَن جاء على ذكر المفاعلات النووية يا أستاذ؟ نحن نعمل في تنسيق وإخراج المطبوعات وليس المفاعلات النووية، ستخرب بيوتنا بلسانك هذا، الله يخرب بيتك.

أخذ محامي الاِدعاء يحاول تهدئة الشاهد:

- معذرة، سامحني يا (عبد العزيز)، سامحني، سامحني يا صديق العدالة، كانت زلَّة لسان، و...

الشاهد غاضبًا مذعورًا:

- أي زلَّة لسان يا أستاذ؟ الآن سنجد أمريكا كلها في شركتي تبحث عن (اليوريوم ~يقصد اليورانيوم ~)، وستُفرض علينا عقوبات، لن نجد زبونًا واحدًا يتعامل معنا، خربت بيتي، الله يخرب بيتك.

صوت مطرقة القاضي جعل الجميع يلتفت إليه، قال وهو ينظر للشاهد:

- لا تقلق، سأقوم بتوضيح الأمر للرئيس الأمريكي.

هتف الشاهد:

- أي توضيح يا سيادة القاضي؟ هؤلاء لا يفهمون إلّا ما يرغبونه، لقد أصبحت دولة مارقة بعد أنْ كنت رسّامًا ناجحًا.

والتفت إلى محامي الاِدعاء وهو يكمل:

- الله يخرب بيتك.

عادت مطرقة القاضي تجذب الأنظار إلى صاحبها، قال القاضي بهدوء ويسراه تشير للشاهد أنْ يهدأ:

- لا تقلق، أنا مع رئيس أمريكا كُلّ يوم، ونسهر معًا كُلّ ليلة، وهو يحب مجالستي له، أعدك بأنَّه لن يفعل شيئًا بشأن ما قاله محامي الاِدعاء.
طبعًا لم يكذب القاضي بحرف، ولا يجوز له ذلك، إنَّما قصد نشرة الأخبار الليلية التي يحرص على مشاهدتها قبل النوم، وما عُرف عن الرئيس الأمريكي من حبه للشهرة، وسعيه لجمع أكبر جمهور حوله.
مع ذلك احتاج الأمر ~ الذي لا أعلم من أين جاء ~ ربع ساعة وكأس ماء، حتى هدأ الشاهد، وبردت ناره على محامي الاِدعاء.
محامي الاِدعاء الذي قال:
- عبد العزيز.. يا صديق العدالة.. لو أعطيتك رواية "اللقاء"، ما هو الشكل الذي ستُخرجها به للجمهور؟ لا أريد منك تصوُّرًا دقيقًا، أريد منك رأيًا مبدئيًا فقط.
تنحنح الشاهد، وقد استعاد رباطة جأشه، قال:
- رأي مبدئي.
والتفت إلى الكاتب وفي عينيه نظرة تحذير، أكمل:
- رأي مبدئي فقط، سأختار خطًا رفيعًا، زواياه قليلة الإنحناء وليس حادة، لونه رمادي قريب من الأسود مع لمسة لون بخضرة أوراق الزيتون، على أوراق بيضاء ناعمة رقيقة ضعيفة الشفافية، تميل إلى اللون الوردي ميلًا طفيفًا، وحجمها أكبر قليلًا من يد بالغ مبسوطة، وأشياء أخرى احتفظ بها لنفسي.
هتف محامي الاِدعاء:

- رائع، رائع جدًّا يا (عبد العزيز).. يا صديق العدالة، أنَّك والحق يقال تجيد عملك، ولكن لماذا تستخدم أوراقًا بيضاء تميل إلى اللون الوردي؟ لماذا يا (عبد العزيز) ؟ لماذا؟ لماذا لا تستخدم أوراقًا بيضاء خالصة؟، أخبرنا، أخبرنا يا صديق العدالة.

الشاهد وحركات جسده تقول أنَّ هذا أمر بديهي، قال:

- هذه رواية يا أستاذ، رواية إجتماعية، تهتم بالجانب العاطفي، ألوان الحدائق والزهور تناسبها أكثر من أي شيء آخر، هذا يساعد القارئ على الاسترخاء والاستغراق في عالم الرواية.

صاح محامي الإِدعاء:

- رائع، رائع يا (عبد العزيز)، رائع يا صديق العدالة، أنت مُبدع، أنت مُحترف يا (عبد العزيز).. يا صديق العدالة.

وأمسك بالرواية من أمامه، وسار بها إلى الشاهد، اقترب منه، وجعل جسده حائلًا بين الشاهد والآخرين، همس:

- ما هذا الهُراء الذي فعلته، (يوريوم)! دولة المارقة! الله يخرب بيتي يا بن الذين يشربون الشاي بالملعقة!

رد الشاهد بالهمس:

- أخذتني الجلالة، فلم أشعر بنفسي!

لن يخبر الشاهد محامي الاِدعاء بأنَّه يقلِّد (سرحان عبد البصير)، ولعل مُخْرِجًا ما يراه، فيصبح نجمًا من نجوم العصر، ولكن الخبيث محامي الاِدعاء، كان يعلم بالأمر، فقال:

- أدلِ بشهادتك ودع عنك التأليف والتمثيل و(سرحان عبد البصير).

وارتفع صوت محامي الاِدعاء:

- عبد العزيز.. يا صديق العدالة.. هل تستطيع أنْ تُخبر عدالة المحكمة عن هذا الإخراج للرواية؟ هل هو مقصود؟ أم أنَّ هناك بديلًا أفضل له؟

*** * ***

5- تنويم مغناطيسي

أمسك الشاهد بالرواية، نظر إليها.. بُهت.. وجِم.. بيد واهنة افترَّ أوراقها.. وعاد ينظر إلى إليها نظرة المعقود لسانه.. تأتأ.. فأفأ.. نظر إلى محامي الاِدعاء.. نظر إلى الكاتب.. تكلم:

- م.. ما هذ.. ذا الهُراء يا أستاذ (عطوة)، ل.. لو جئتني لفعلت لك أفضل من ذلك.

رفع محامي الاِدعاء كفه في وجه الشاهد، صاح:

- عبد العزيز، يا صديق العدالة، تذكر أنَّك في مكان عظيم، وتحت القسم، لا مجال هنا للدعاية لنفسك، قل الحقيقة، وأجب السؤال: هل إخراج الرواية بهذا الشكل مقصود أم لا؟ هل يخالف الإخراج الخاص بعالم الرواية أم لا؟

كان الشاهد يخوض صراعًا عنيفًا بين جنبات صدره، بين الرواية ومُخْرِجها ونفسه، صراع حُسم بصيحة خرجت من أعماق الشاهد وهو يرفع بصره لمحامي الاِدعاء، ويقول:

- مقصود، وألف مقصود..

والتفت إلى الكاتب الذي يلوذ بمحاميه، وأكمل هاتفًا:

- رائعة، رائعة يا أستاذ، لقد أبدع مُخْرِجها، رائعة رائعة رائعة، أنا نفسي لم أكن لأصل لهذا المستوى من الإبداع، إنَّها..

قاطعه محامي الاِدعاء:

- أستاذ (عبد العزيز)، أستاذ (عبد العزيز)، لا تقلل من شأنك، أنت أفضل مُخْرِجي المطبوعات في أكبر شركات إخراج المطبوعات في البلد، شركة (هذا هو الإبداع)، لا تنس ذلك.

فلتات هذا الشاهد ستدمر قضيته، أنَّه يحطّ من قدر نفسه ومن قدر شهادته، لقد أخطأ حين طلبه للشهادة، حقًا...

هنا نهض محامي الدفاع، قال:

- حضرة القاضي لا أعلم غاية محامي الاِدعاء من كُلّ ما يفعله، ولا هدفه من استدعاء الشاهد، ولا ما يرمي إليه من أسئلته.

محامي الاِدعاء:

- أرجو الصبر الجميل من عدالة المحكمة، الصبر مفتاح الفرج، وستعلم عدالة المحكمة وزميلي العزيز الغاية مما أفعله بعد قليل، الصبر.. الصبر أيُّتها النفس العجول.

نحنحة من القاضي جعلت محامي الاِدعاء يلتفت إليه، فأشار له الأوّل أن يقترب، فاقترب الأخير حتى أمسك طرف منصة القاضي بكلتي يديه.

لا أستطيع هنا معرفة أو وصف مشاعر القاضي، هل هو الإشفاق؟ هل هو الرثاء؟ هل هو اللوم؟ حتى نبرة صوته! هل هو حنان أم أسف أم مزيجهما أم غير ذلك؟ سأل:

- هل تذكر ما قلته لك عن الهُراء؟

بحماس أجابه محامي الاِدعاء:

- أذكره سَيِّدي القاضي، وأؤكّد لحضرتكم أنَّ ما أفعله لا يمت للهُراء بصلة، وقليل من الصبر وسيتضح الأمر لعدالتكم.
نظر القاضي له.. ونظر.. ونظر.. وبأربعة أصابع مجتمعة من يمينه أشار له أنْ يذهب، لقد اتخذ قراره، فلا داعي لحرمان هذا الأحمق من أمنيته الأخيرة.

* * *

عاد محامي الاِدعاء إلى حيث الشاهد، قال:
- عبد العزيز، عبد العزيز، عبد العزيز، يا صديق العدالة، قلت أن هذا الإخراج للرواية مقصود، واقتبس قولك "مقصود، وألف مقصود"، اشرح لنا يا (عبد العزيز)، أوضح لنا يا صديق العدالة، تكلَّم، تكلَّم يا (عبد العزيز).
تكلَّم (عبد العزيز) والانبهار لم يفارقه بعد:
- من أخرج هذه الرواية خرج عن المألوف في كُلّ شيء، كُلّ شيء في إخراج الرواية.

ملهوفًا قاطعه محامي الاِدعاء سائلًا:

- ماذا تعني بأنَّه خرج عن المألوف في إخراج الرواية؟ أخبرنا يا (عبد العزيز)، أخبر عدالة المحكمة، أخبر محامي الدفاع، أخبر الحضور الكريم، أخبر الجميع يا (عبد العزيز)، يا صديق العدالة، هيا.

نظر الشاهد إلى محامي الاِدعاء نهمًا، جائعًا لم يذق الطعام دهرًا، ووجد أمامه مأدبة عامرة بكل ما لذّ وطاب في كبد الصحراء، ومنفعلًا قال:

- يعني أنَّ الناشر كان واثقًا من نجاح الرواية يا أستاذ (محمود)، واثق جدًّا.

وبحماس من فقد خيوط انفعاله، أدار الرواية ليواجه أمامها محامي الاِدعاء، وبحماس يفخر به الحماس:

- أتعلم ما هذا؟ الغلاف مصنوع من نوع خاص من القماش، خاص جدًّا...

بتساؤل.. بتعجب مُصطنع، قاطعه محامي الاِدعاء:

- خاص؟! ماذا تقصد يا صديق العدالة؟ ماذا تعني (عبد العزيز)؟، يا حارس بوابة العدل.

قفز محامي الدفاع عن مقعده، هتف بقوة:

- سَيِّدي القاضي، أعترض على أسلوب محامي الاِدعاء مع الشاهد، أنَّه يحرف الشاهد عن الإنصاف، ويميل به إلى تَبنّي وجهة نظر محامي الاِدعاء.

مرة أخرى أشار القاضي لمحامي الدفاع بالجلوس، وأطلق سبابته نحو محامي الاِدعاء في إشارة تحذير واضحة، مرة أخرى يتصرف القاضي كأستاذ صارم مع مشاغبيْن في الصف الثالث الإبتدائي.

الشاهد لم يهتم بكل هذا، وواصل الحديث منفعلًا:

- انظر، انظر إلى هذا الغلاف، أتعلم ما هو؟ يبدو كالورق، ولكنَّه ليس كذلك، أنَّه قماش (السَكِينَة)، أتعلم ما هو قماش (السَكِينَة) يا أستاذ؟

الكاتب نفسه لا يعلم ما هو قماش (السَكِينَة)، وأنا على يقين أنَّ محامي الاِدعاء لا يعلم ما هو، لكن الأخير أمسك جبهته بيمينه، ويسراه على قلبه، وانحنى ظهره للوراء في تمثيل بائس، وهو يردد:

- يا للهول.. يا للهول.. يا للبشرية مما ينتظرها.. يا للفضيلة من طعنات الرذيلة.

وفضح نفسه بأن ترك هذا كُلّه، واعتدل ليصيح:

- ماذا تقصد يا (عبد العزيز) ؟ ما هو قماش (السَكِينَة) يا صـ.. أيُّها الشاهد المُنصف؟

كان الانفعال والحماس يحول بين الشاهد وما حوله، فأجاب وهو على ذات الحال من الانفعال:

- قماش (السَكِينَة) يا أستاذ..

ولم يعد محامي الاِدعاء جمهورًا يكفي للشاهد، فالتفت للحضور، وتابع:

- قماش يسحب الشحنات السالبة والانفعال الزائد مِن مَن يمسكه، فيميل للهدوء والاسترخاء والسكينة، هذا القماش الغالي الثمن لا نستخدمه إلَّا بطلب خاص من الزبائن، لبعض كتب الأطفال، وتجهيزات العيادات النفسية.

فاتحًا ساقيه كأنَّه يقيس سعة خطوته.. فاردًا ذراعيه لأعلى.. كأنَّه يرفع أثقالًا في ناد رياضي.. صورة جامدة.. بلا حركة.. بلا صوت.. هذه حال محامي الاِدعاء..

الهمهمة الخافتة للحضور لم تغيّر من حالته، لقد انفصل عن واقعه.. وبعد هُنيهة.. جاء صوته هادئًا.. قادمًا.. من عالم آخر:

- يريد تخديرهم.. يريد تنويمهم.. حتى يتغلل المجون والرذيلة إلى تلافيف أدمغة الناس.. كي يُصبح العِهْر سلوكًا طبيعيًا تقبله النفْس وترضاه وتمارسه.. تنويم مغناطيسي لزرع الاِنحراف عن الفطرة السليمة في نفوس البشر.

وثب محامي الدفاع عن مقعده - نعم، لا أجد وصفًا غير هذا لفعله- وصاح:

- سَيِّدي القاضي، اعترض على ما يقوله محامي الاِدعاء، وعلى كُلّ ما يحاول قوله والإيحاء به، سَيِّدي القاضي أنَّني أطلب استدعاء خبير من أهل الاختصاص للفصل في ما يدَّعيه محامي الاِدعاء.

فرك القاضي وجهه بكلتي يديه كمن استيقظ من نومه في التوّ، قال:

- لك هذا.

وأشار إلى محامي الاِدعاء، نادى:

- أنت، تعال.

* * *

6 - في النـهار وفي الليل

ترك محامي الاِدعاء وقفته والتفت إلى القاضي.. واقترب منه حتى بلغ منضدته.

مال القاضي ناحيته، وبهدوء وبصوت تسمعه رؤوس متقاربة، قال:

- انظر خلفك، وأخبرني ماذا ترى؟

محامي الاِدعاء:

- سَيِّدي القاضي، إنَّني أدرك تمامًا الأمر، وأعلم انشغال حضرتكم وكثرة أعمالكم، وما يثقل كاهلكم، ولولا أهمية القضيَّة وأثرها في أخلاق المجتمع وسلوكه كونها تتعلق بالحق العام، لما أثقلت حضرتكم بمرافعتي الطويلة.

لم يبد على القاضي أنَّه سمعه، بل قال:

- حتى لا يفتك بي تأنيب الضمير، أريد منك النظر خلفك وأن تخبرني ماذا ترى؟

التفت محامي الاِدعاء خلفه، ودار بنظره إلى قاعة المحكمة المُزْدحمة، وعاد بعينيه إلى القاضي، قال:

- أرى قاعة مُزْدحمة بالحضور الكريم.

بابتسامة متشفية.. ابتسامة طاغية أمسك بزعيم المعارضة المسلحة بعد عناء كبير، قال:

- إذًا أنت ترى الأمر جيدًا؟

بحذر عصفور أحمق يرقب صيّادًا يضع له فخًا، قال:

- نعم سَيِّدي القاضي، أراه.

اتسعت ابتسامة القاضي وهو يقول:

- هذا كُلّ ما أريده منك، تابع مرافعتك، خذ ما شئت من الوقت.

الحقيقة أنني أرى الخطر يحدَّق بمحامي الاِدعاء وهو في غفلة، وهذه المرة شعر محامي الاِدعاء بأنَّ هناك أمرًا ما، أمر يشبه الخطر، لذلك نظر إلى القاضي بحذر، قبل أنْ يستدير ويعود للشاهد والقلق يضرب أطْنَابه في أوصاله.

وبصوت متحشرج، سأل الشاهد:

- وماذا ترى غير ذلك؟ ماذا عن أوراق الرواية ذاتها؟

كما أسلفت، يبدو أنَّ الشاهد في مرحلة من الانبهار، جعلته منفصلًا عن كُلّ ما يدور في قاعة المحكمة، لذا أجاب بانفعال:

- إبداع يا أستاذ، إبداع، لقد استخدم الرّسّام أوراق العاج مع ألوان الفسفور، إبداع يا أستاذ.. إبداع.. هذه هي الكلمة الوحيدة التي تصف هذا العمل.

والتفت الشاهد إلى الكاتب، وكرر:

- إبداع.

محامي الاِدعاء وقد شرع القلق يتركه:

- أوضح لنا الأمر يا (عبد العزيز)، ما هي أوراق العاج؟ لماذا لم يستخدموا الأوراق التقليدية؟ الأوراق المُستخدمة في طباعة الرواية!

التفت إليه الشاهد، وقال:

- أوراق العاج هي أفضل أوراق الطباعة، ناصعة البياض، لا تعكس الضوء بالطريقة التقليدية، بل تتألق ذاتها دون انعكاس، مما يجعلها مريحة للعين والنظر، وفي الظلام تبدو الورقة واضحة إلى حد ما، وهذا نصف الإبداع، النصف الآخر في ألوان الطباعة الفسفورية.

كان القلق قد هجر محامي الادِعاء، وعاد إلى سيرته الأولى، سأل في لهفة:

- ماذا عنها يا (عبد العزيز)؟ ماذا عنها يا صديق العدالة؟ أخبرنا، أخبرنا عنها يا فلتة زمانك.

أدار الشاهد الرواية مفتوحة نخو محامي الادِعاء، وهو يهتف:

- انظر، انظر جيّدًا يا أستاذ، هذه ليست ألوان طبيعية، هذه ألوان الفسفور، هذا يعني أنَّك تستطيع قراءة الرواية في ضوء النهار و..

وتوقف الشاهد.. رُبَّما ليعطي كلامه القادم وقعًا عظيمًا في النفس، أكمل الشاهد:

- وفي ظلمة الليل، لا تحتاج مصباحًا لتقرأها، ستتألق الحروف مع أوراق العاج لتبدو الكلمات واضحة، لا كهرباء، لامصباح، ستقرأ بلا توقف وبلا عناء، أمر أشبه بالسحر.

ارتفعت صيحات الدهشة والانبهار من الحضور، أما محامي الادِعاء، فاتخذ وقفته السابقة مع تغيير نذكره، فتح ساقيه كأنَّه يقيس سعة خطوته.. أحنّى ظهره للخلف.. وضع كفيه معًا على قلبه.. رفع وجهه إلى أعلى وهو مغمض العينين.. لهُنيهة لم يتكلم.. وحين قاربت الهُنيهة أنْ تصير برهة،

ودون تغيير هيئته، بدأ صوته يُسْمع كولولة وهو يتعالى كألحان في خلفية فيلم إثارة، يُخرجه مُخْرِجٌ بارع:

- يا للهول، يا للهول، يا للهول، يا للهول، يا للهول، يا للهول، يا للهول، يا للهول، يا للهول، يا للهول، يا للهول، يا للهول، يا للهول، يا للهول، يا للهول، ياااااا.. للهووووول.

وعاد للصراخ.. للنهيق.. للنعير.. ~ اختر ما شئت ~:

- يريد نشر الرذيلة في النهار.. وفي الليل.. تحت الشمس.. وتحت النجوم.. في الضوء.. وفي الظلام.. في العلن.. وفي السر..

وبقوة استدار نحو الكاتب، وفرد ذراعيه معًا وجعلهما رمحين أشار بهما إلى الكاتب، صرخ:

- إعدام، إعدام يا حضرة القاضي، لأجل الفضيلة.. لأجل الأخلاق.. لأجل الإنسان.. لأجل الحياة.. لقد علمتم لماذا استخدم أوراقًا بيضاء.. أوراق العاج يا سادة.. أوراق ثمينة.. أوراق مضيئة.. لينشر شروره.. لينشر مجونه.. لينشر الرذيلة في كُلّ زمان ومكان.. في كُلّ وقت وحين.. في كُلّ أين ومتى..

عادت القاعة تموج موج البحر، وقام محامي الدفاع بما يجيد عمله.. وثب عن مقعده.. هتف:

- اعترض سَيِّدي القاضي، اعترض وبشدة على سلوك محامي الاِدعاء، أنَّه يعطي أشياءً بريئة أبعادًا قبيحة، ويجعل من التخمين تأكيدًا، ومن الظن يقينًا، ويرمي موكِّلي بتهم لم تثبت بعد، ويتهمه بأبشع الصفات بلا أدلة،

ويطالب بأقصى عقوبة لأمر، لا صفة له سوى الهُراء، أنّ ما يفعله محامي الادعاء عار تأباه العدالة والأنفس الكريمة، حضرة القاضي ما علاقة الأوراق البيضاء بما يدعيه محامي الاِدعاء؟ بل ما علاقة الكاتب بطبيعة الأوراق ؟ أكانت عاجًا أم نحاسًا؟ أنَّ موكِّلي كاتب حضرة القاضي، وليس مُخْرِجا للمطبوعات، إخراج الرواية للجمهور من شأن الناشر ومُخْرِج المطبوعات، لتأتوا بالناشر وتسألوه، حضرة القاضي أنَّني لا أرى علاقة بين الإخراج والكتابة، هذان أمران منفصلان، وحتى هذه اللحظة لم يأت محامي الاِدعاء ببيّنة واحدة تثبت ما يتهم به موكِّلي، حضرة القاضي أنَّني أرى في كلام محامي الاِدعاء تجريحًا وتشهيرًا بموكلي، وكلاهما يستوجب العقوبة والاعتذار والتعويض لموكلي، حضرة القاضي أنَّني أطلب من عدالتكم دفع محامي الاِدعاء إلى عرض دعواه بأدلة واضحة، أو ترك الأمر برُمَّته.

محامي الاِدعاء:

- سَيِّدي القاضي، والقاضي.. سَيِّدي، لقد أوضحت لحضرتكم وزميلي والحضور الكريم علاقة الكاتب بإخراج الرواية، ولا مناص من تكراره، سَيِّدي القاضي.. زميلي محامي الدفاع، لا ينشر الناشر الرواية حتى يُستشار الكاتب عن الشكل النهائي للرواية، الشكل الذي سيراه الجمهور، فهل يسمح لي سَيِّدي القاضي بإلقاء سؤال إلى الكاتب حول هذا الأمر؟

محامي الدفاع:

- حضرة القاضي، أرفـ..

القاضي:

- اسأل، أسأل يا فريد عصرك.

محامي الاِدعاء:

- ش.. شكرًا.. سَيِّدي القاضي، سؤالي للكاتب (عطوة عطوة) الشهير بـ (عطعط)، هل استشارك الناشر بخصوص الشكل النهائي للرواية؟

محامي الدفاع:

- حضرة القاضي، أرجو...

إشارة من يد القاضي أخرسته، وهي تشير له بالجلوس، فجلس والأشواك مقعده، أما الكاتب فنظره يسعى بين محاميه ومحامي الاِدعاء، وهو جالس، تكلم فأوضح وأوجز:

- سس.. ثثثث.. ببب.. بسبس.. خخخخخ.. سسسي.. ميو.

مدهوشًا سأل محامي الاِدعاء:

- ميو! هل يعاني الكاتب من صعوبة في النُطق؟

الكاتب يُوْضح ما قاله:

- مممممم.. ميو... ميميو... عععععععع... عوعوووووو..

دون أنْ تتركه الدهشة، أدار محامي الاِدعاء نظره من الكاتب إلى محامي الدفاع إلى القاضي، قال:

- سَيِّدي القاضي، و.. القاضي.. سَيِّدي، لا استطيع فهم ما يقوله الكاتب، أنَّه أشبه بمواء القطط ونباح الكلاب، ولا خبرة لدي في أصوات الحيوانات ومعانيها.

هنا ارتفع صوت الكاتب من خلفه يقول:

- ن.. نع.. نعم استشارني ال.. الناشر حول.. ش.. شش.. شكل الر.. رواية.. اا.. الظ.. الظاهري.. أ.. أأ.. أعجبني شكلها.. وو.. وافقت.. أأ.. أن.. أنا لا.. أع.. أعلم.. التف.. التف.. التف.. التفاصيل الف.. الف.. الفنية.. للل.. لا أعلم.. ووو.. ورق.. العج.. العاج.. وووو.. لا.. الفس.. فس.. فسفور..

من القاضي إلى الكاتب، ومحامي الإِدعاء لا تتركه الدهشة، وبعد هُنيهة تحديق في وجه الكاتب، عاد بنظره إلى القاضي، ليقول:

- سَيِّدي القاضي، والقاضي.. سَيِّدي، باعتراف الكاتب أنَّ الرواية نُشرت بعد استشارته وموافقته حول الشكل النهائي للرواية، أكون أوضحت لعدالتكم علاقة الكاتب بإخراج الرواية للجمهور.

ارتفع صوت محامي الدفاع يقول:

- حضرة القاضي، لقد أنكر الكاتب وعلى مسامعكم الكريمة معرفته الأمور الفنية بإخراج الرواية، وأوجه عنايتكم إلى عدم ذكر محامي الإِدعاء - إلى الآن - شيئًا يثبت دعواه عن قيام الكاتب بنشر المجون والرذيلة بين الناس.

نظر القاضي إلى محامي الإدعاء نظرة غامضة، قال:

- هذا صحيح، لقد أضعت وقت المحكمة في أمور لا تمت بصلة لصلب القضيَّة أو تظهر حقيقة دعواك، إذا لا تملك بيّنة ظاهرة توضح دعواك، فلا تضع وقت المحكمة الثمين.

بمداهنة.. بصبر جزار على سلخ ذبيحته، قال محامي الإِدعاء:

- سَيِّدي القاضي، والقاضي.. سَيِّدي، أنَّ قضيَّة نشر المجون والرذيلة في المجتمع، هو رأس جبل الجليد الذي يراه الجميع، والذي أملك له بيِّنة لا يستطيع أحد إنكارها، ولكنني أسعى في البداية لإظهار حقيقة الكاتب، وحربه على المجتمع وكل ما يقدسه ويحترمه من دين وأخلاق وثقافة بروايته الماجنة الخليعة، حتى لا يظنّ أحد أنَّ ما خطَّه بيمينه هو هفوة كاتب، أو خطأ غير مقصود، أو أي عذر آخر، سَيِّدي القاضي، والقاضي.. سَيِّدي، أرجو من عدالتكم الصبر، الصبر حتى أضع بين يدي عدالتكم الحقيقة كاملة، حقيقة هذا الكاتب وحربه على مجتمعنا، الصبر سَيِّدي القاضي، الصبر يا نبراس العدالة، الصبر.

نظر له القاضي، وتأمل محامي الاِدعاء دون أن يحيد نظره عنه، ونظر.. ونظر.. وتكلم:

- حسنًا، أكمل.

ثم انقلب حال القاضي كأنَّما تقمَّصه شيطان مرِيد، قال وسبابته صوب محامي الاِدعاء:

- إن لم تُظْهر حقيقة دعواك، فسأحرص على أن لا تطأ بقدميك قاعة محكمة في حياتك إلا مُذنبًا أو مُتهمًا.

ابتلع محامي الاِدعاء ريقه بصعوبة، وبصوت أبحّ قال:

- بالتأكيد سَيِّدي القاضي.

أشار له القاضي بالاقتراب منه، فاقترب حتى وضع صدره على حافة منصة القاضي المرتفعة، وبغيظ مكتوم قال القاضي:

- وإن لم تتوقف عن ذلك الأسلوب، فستقضي حياتك تتسول قوت يومك من الشوارع.

ازدرد محامي الاِدعاء ريقه، وبصوت كهفيف الريح، قال:

- أرجو العفو من عدالتكم، أي أسلوب تقصدون؟

مال القاضي نحوه، قال:

- سَيِّدي القاضي، القاضي.. سَيِّدي.

محامي الاِدعاء:

- بالتأكيد سَيِّدي القاضي، بالتأكيد.

اعتدل القاضي، وبصوت قوي واضح، قال:

- بخصوص الشاهد؟ هل لكما حاجة إليه؟

ارتفع صوتا المحاميين ينفيان الحاجة إليه، وأصر الشاهد على مكانه وأهميته، فعلا صوته يقول:

- ولكنني لم أكمل شهادتي سَيِّدي القاضي! لم اتحدث عن الرائحة والصور والخلفية.

محامي الاِدعاء:

- شكرًا يا (عبد العزيز)، لقد أوضحت مقصدي لعدالة المحكمة، شكرًا لحضورك، لقد ساهمت في إظهار الحقيقة، وتحقيق العدالة.

نظر الشاهد إلى القاضي، أنّ دوره لم ينته بعد، ولكن إشارة من كفي القاضي تطلب منه المغادرة، دفعته إلى ترك مكانه ومغادرة قاعة المحكمة كاسفًا، لديه الكثير ليقوله، الكثير جدًّا، لم يهنأ الحضور بغزير علمه وعميق

خبرته، وسعة معرفته، لقد خسرت القضيَّة والبشرية الكثير ببتر شهادته، لقد خسروا هو.

*** * ***

7- الحضور

ساد الهدوء بمغادرة الشاهد، وانهمك الجميع في ترتيب أشيائهم، حتى الحضور أخذوا يعدلون من جلساتهم.

نهض أحد الحضور، رجل في الخمسينات يرتدي ثياب الريف، ليقول بصوت قوي:

- حضرة القاضي، ماذا عن قضيتي؟

نظر له القاضي، قال:

- انتظر إلى حين النداء عليك.

الرجل:

- انتظر ؟ إلى متى يا حضرة القاضي؟ هذه ناس ليس لها مصالح، أنَّهم يتقاضون حول كلام لا أوّل له ولا آخر، ولا نعرف له رأس من رجلين، كلام يجعل كلام الحريم له معنى ومغزى.

نهره القاضي:

- لا تتكلم فيما لا يخصك، انتظر حتى ننادي قضيتك، إلى ذلك الحين لا يحق لك الكلام.

الرجل:

- كيف يا حضرة القاضي؟ كيف لا أتكلم؟ أكل الميراث أم كلام روايات وقصص؟

نهض آخر:

- نعم يا حضرة القاضي، وأنا أيضًا لا أفهم شيئًا من كلام الأساتذة، أنَّه لا يختلف عن تعايُر النساء، وهل يرضي الله أن تُترك قضيتي، قضيَّة الاستيلاء على شَقَّتي لأجل فلان قال كذا وآخر قال كذا؟

نهضت أمرأة عركْركَة و...

طرق القاضي بمطرقته بقوة وحزم، وبصرامة قال:

- لا أحد يتكلم حتى ننادي قضيته، سأخرج كُلّ من يتكلم بغير إذن منّي من قاعة المحكمة، مفهوم؟

المرأة العركْركَة:

- يا حضرة القاضي، سمحت للجميع بالكلام، وحين جاء دوري تريد أنْ تخرجني من قاعة المحكمة؟ أنا المسكينة، المغلوبة على أمري، التي يرفض زوجها دفع نفقتها، النساء مظلومة في كُلّ مكان حتى في قاعة المحكمة! والله عيب، والله لا يُرضي هذا رَبّ العالمين، أنا جئتك تنصفني وتنصرني، وأنت تطردني..

قاطعها القاضي:

- انتظري النداء على قضيتك، وحينها سأنصَفك، كلمة واحدة أخرى وسأطرد قائلها من قاعة المحكمة.

وبعينين يبدو لهيب نار الغضب مستعرًا فيهما، نظر إلى محامي الاِدعاء، وبصوت ارتجف الجليد من برودته، وكيف يجتمع اللهيب والجليد؟! قال القاضي:

- أكمل، أكمل واختصر مرافعة الوداع.

* * *

لوهلة لم يتحرك محامي الادعاء، وهو ينظر إلى القاضي، ثُمَّ سأسأ:

- س.. س.. سسس.. سي.. دي.. س

ثُمَّ تلعثم:

- س.. سَيِّدي.. ال.. القاضي.. ع.. عيناك..

القاضي:

- ماذا عنهما؟ جميلتان؟

- ع.. عينا.. عيناك..

- ما عنهما؟.. بحر يضيع فيه العاشقون؟

- تش.. تش.. تش.. تشت.. تشتع.. تشتعل.. تشتعلا.. تشتعلان.. ن.. ن.. نا.. نارًا..

- نار العدالة يا (محمود) يا محامي الاِدعاء، نار الحب يا ناصر المظلومين، نار الشوق يا نصير المُستضعفين..

ثم زأر:

- أكمل مرافعتك.. واختصر.

بساقي من المَعْكَرُونَة المَطْهوة دهرًا على نار هادئة على يد طاه مبتدئ، سار محامي الادعاء إلى مكانه، أشار بيده نحو القاضي.. نحو الحضور..

نحو ما خلق الله.. إشارة توالت.. والجميع ينظر إليه.. وهو يحاول أن يخبرهم شيء ما، وتلاحقت أنفاسه، وصار صدرًا يزداد وينكمش، حتى وثب محامي الدفاع عن مقعده، وهو يصيح:

- ماء سَيِّدي القاضي، ماء، الزميل محامي الاِدعاء يختنق..

هنا رفع محامي الاِدعاء كلتا يديه مشيرًا إلى محامي الدفاع ليؤكد ما يقوله.

من خلاصة القول إن الأمر احتاج عشرون دقيقة حتى ذهب عن محامي الاِدعاء ما أصابه، وعاد إلى حالته الطبيعية، وصدق المثل " رُبَّ عجلة تَهَبُ رَيْثاً "

* * *

8- 1 2 3 و١ ٢ ٣

تنحنح محامي الادعاء، وأمسك الرواية وتصفحها حتى وقف على عنوان الفصل الأوّل، رفعها فوق رأسه ليواجه بها القاضي.. محامي الدفاع.. الجمهور الكريم..

وبصوت يتعافى، قال:

- سَيِّدي القاضي.. والقا..، إنَّ جرائم الكاتب وحربه على دين وأخلاق وثقافة المجتمع في كُلّ صفحة، بل في كُلّ جملة، بل في كُلّ كلمة، انظر سَيِّدي القاضي، انظر أيُّها الحضور الكريم، انظر يا محامي الدفاع.

من نافلة القول أن الرواية انتقلت من محامي الاِدعاء إلى القاضي إلى محامي الدفاع، دون أنْ يدرك أحدهما غاية الأوّل.

محامي الدفاع:

- حضرة القاضي، لا أعلم غاية محامي الاِدعاء مما أرانا إيّاه.

محامي الاِدعاء هاتفًا:

- يا لمأساة الحضارة، يا لأحزان الكتابة، يا لعبرات التاريخ، الجريمة واضحة ولا يدركها الناس، رقم الفصل يا زميلي محامي الدفاع، رقم الفصل حضرة القاضي المُبجل، والمُبجل أنت.

توقف هُنيهة ليدع كلماته تتغلغل في تلافيف الأمخاخ، وأكمل:

- لقد استخدم الكاتب أرقامًا أعجمية ١ ٢ ٣، مُتجاهلًا الأرقام العربية 1 2 3، مُتجاهلًا الحضارة.. مُتجاهلًا التاريخ.. أي جريمة بعد هذا؟ استخدم أرقامًا أعجمية في ترقيم الفصول.. الصفحات.. في نص الرواية..

الذهول.. الذهول هو حال الجميع.. من القاضي إلى محامي الدفاع إلى الحضور.. مفاجأة فجرها محامي الاِدعاء.. ولم تخطر ببال أحدهم.. لقد نزل محامي الاِدعاء في دعواه وعداوته للكاتب منزلًا لم يتخيَّله أحد..

لم يتكلم أحد.. الجميع ينظر إلى محامي الاِدعاء.. أصنام في دُكَّان آزر..

حطم محامي الدفاع جمود الموقف، هتف:

- حضرة القاضي، لا أجد كلمة أرد بها على هذا الاِدعاد سوى "هُراء"، الهُراء ما يقوله محامي الاِدعاء، هذه الأرقام عربية وليس هندية كما يتصور البعض، ولكن من مدرسة أخرى، وأطلب حضرة القاضي مختصًا للفصل في هذا الأمر، هذا أولًا، أما ثانيًا: حضرة القاضي، أنَّ تحرير وتنسيق الرواية ليس من شأن الكاتب، بل من شأن من أوكل إليه الناشر هذه المهمة، وعليه ليس لموكِّلي علاقة بكون هذه الأرقام هندية أو سريالية، وهناك أمر لا بد من ذكره حضرة القاضي، لقد ساد لوقت طويل أنَّ الأرقام 1 2 3 هي أرقام إنجليزية، و١ ٢ ٣ أرقام عربية، فهل سنحاكم السابقين على جهلهم؟

رفع محامي الاِدعاء كفيه بمحاذاة كتفيه، وابتسم الخبيث قائلًا:

- حضرة القاضي المُبجَّل، والمُبجَّل أنت، أنَّ الحق ما يقوله محامي الدفاع حول جزئية أنَّ الكاتب ليس له علاقة بتحرير وتنسيق الرواية، ولكنني أذَكِّر

عدالتكم وزميلي محام الدفاع بأمر ذكرته مرارًا، ولا مناص من تكراره، أنَّ الشكل النهائي للرواية يتم عرضه على الكاتب، ولا ريب أنَّ الكاتب رأى هذه الأرقام ولم يطلب تحويلها لأرقام عربية، خاصة مع انتشار الوعي بحقيقة هذه الأرقام، واتجاه عالم المطبوعات جميعًا لاستخدام الأرقام العربية 1 2 3، لذلك لا يمكن تبرير هذا الأمر بجهل الكاتب.

محامي الدفاع وقد طارت نفسه شعاعًا:

- حضرة القاضي، أطلب من عدالتكم إحضار أهل الاختصاص للفصل في هذا الأمر.

أشار القاضي بكفه لمحامي الدفاع بالجلوس، ونظر إلى محامي الاِدعاء، قال:

- انتقل للنقطة التالية.

بغيظ جلس محامي الدفاع، وبابتسامة عاد محامي الاِدعاء إلى الرواية يقلبها، قال بصوت عال:

- سَيِّدي القاضي المُبجَّل.. والمُبجَّل أنت، الزميل محامي الدفاع، الحضور الكرام، دعوني أقرأ لكم شيئًا من نص الرواية.

*** * ***

9- فاطمة وسونيا وصهصهة

وشرع يقرأ من الرواية:

- "سارت (فاطمة) تتهادى على الطريق".

ورفع رأسه.. إلى القاضي.. إلى محامي الدفاع.. إلى الحضور.. صرخ:

- أتعلمون من (فاطمة) هذه؟ أنَّها بطلة الرواية، اسمها (فاطمة).. ليس (سونيا).. ليس (لولو).. ليس (سوسو).. ليس (إنجيلا).. ليس (ماريا).. اسمها (فاطمة).. لقد اختار هذا الكاتب اسمًا شريفًا.. اسم بنت خير البرية.. محمد رسول الله.. عليه أفضل الصلاة والسلام.. ليكون اسمًا لبطلة روايته الماجنة الخليعة، هذا الكاتب ترك جميع الأسماء، واختار اسمًا نحبه.. نقدره.. اسم من ثقافتنا.. من تاريخنا.. من ديننا.. ليجعله اسمًا لبطلة روايته الشائنة، ليزرع فينا الكره والاشمئزاز من كُلّ من تحمل هذا الاسم، ليجعل هذا الاسم عنوانًا للرذيلة والفسوق، بعد أنْ كان عنوانًا للعفة والفضيلة، سَيِّدي القاضي أنَّ هذا الكاتب يشن حربًا على ديننا وثقافتنا وأخلاقنا.

فُوجئ الكاتب بصفعة قويّة على قفاه، وشخص ما يصيح:

- يا عدو الله، يا كافر، يا زنديق.

وهوت حقيبة سيدة على يافوخه، وصاحبتها تصيح:

- إلّا رسول الله يا ملعون، إلَّا رسول الله.

وتكالب الحضور على الكاتب، يفرغ فيه غيظه وغضبه وسبب تأخير النداء على قضيته، ومحامي الدفاع يصيح بحماية موكله ولا يجرؤ على الاقتراب منه، والقاضي يطرق بمطرقته بكل قوته وقد امتهن الحدادة، وينادي بالهدوء، حتى الشرطي الوحيد في قاعة المحكمة لم يستطع أنْ يفعل شيئًا، سوى الانبطاح على قمة الجبل البشري الذي يعلو الكاتب، ثم ذهب يركض ليعود برهط من رجال الشرطة، وبعناء شديد رفعوا الناس عن الكاتب وأخرجوهم من قاعة المحكمة.

وانقضت دقائق طويلة حتى عاد الهدوء للقاعة، وانهمك شخص ما في تطبيب الكاتب، الذي أنبت جلده فقاقيعًا من درجات اللون الوردي، هدوء وجأه محامي الدفاع بصوته وهو يصرخ:

- حضرة القاضي، أنَّني اتّهم محامي الاِدعاء بقذف موكِّلي بما ليس فيه، بل والتحريض على قتله.

صاح محامي الاِدعاء:

- حضرة القاضي المُبجَّل، لا حكم لي ولا سيطرة على أفهام الناس، ولن أتراجع عن شيء مما قلته.

طرق القاضي بمطرقته، قال وهو ينظر إلى محامي الاِدعاء:

- هل أفهم من كلامك أنَّ الأسماء (فاطمة) و(خديجة) يجب أنْ تستخدم مع الفُضْليات فقط والأسماء (سونيا) و(سوسو) و(لولو) مع الرذيلات فقط؟ هل أفهم من كلامك أنَّ كُلّ من اسمها (فاطمة) أو (خديجة) هي متعبدة في

محراب الفضيلة، وكل من اسمها (سونيا) و(لولو) هي متسكعة في شوارع الرذيلة؟

ابتسم محامي الاِدعاء في إشفاق العالم المتمكن على تلميذه الغرير الجاهل، وبهدوء أجاب:

- حضرة القاضي المُبجَّل.. والمُبجَّل أنت، أرجو أن لا يُفهم كلامي خطأً، أنني لا أحمّل صاحب الاسم تبعات اسمه.

وشد قامته ونظر إلى سقف قاعة المحكمة ونـهق:

- لماذا وكيف نسمي أبنائنا ؟ حضرة القاضي لا يسمي أحد ابنه باسم إلّا وقد استحضر في ذهنه نموذجًا جميلًا لهذا الاسم، حين اسمي ابنتي (خديجة) فأنَّ ما يحضرني هو أم المؤمنين (خديجة بنت خويلد) زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم، استحضر رمزًا افخر به واتمنّى أنْ يكون قدوة لابنتي في حياتها، قدوة تسير على خطاها ابنتي، وحين اسمي ابنتي (سونيا) فالسؤال هنا ما هو نموذج النساء الذي اشتهر بمحمود ويحمل اسم (سونيا) ؟ لا يوجد حضرة القاضي، لا يوجد نوذج محمود معروف لامرأة يحمل اسم (سونيا) أو (لولو)، كي تكون قدوة آمل أنا أن تسير ابنتي على خطاها حين اسمي ابنتي باسم تلك المرأة.

القاضي:

- وهل يعرف محامي الاِدعاء جميع النساء كي يستطيع الحكم على سيرتـهن ومسيرتـهن؟

احنى محامي الاِدعاء رأسه بتواضع، قال:

- سَيِّدي القاضي، لا أعلم جميع النساء، ولكن أعلم أنَّ هناك نماذج من كُلّ صنف، و(فاطمة) اسم لواحدة من فُضْليات النساء، لماذا لم يختر الكاتب اسمًا لبطلته كـ (سونيا) أو (سوسو)، حينها لن يلفت الاسم الانتباه، لماذا اختار اسم (فاطمة) ؟ لماذا يشوّه هذا الاسم.. هذا الرمز بروايته الماجنة؟ لماذا اختار اسم (عمر) لبطله؟ لماذا تعمّد الكاتب اختيار أسماء لها معنى ومغزى في كيان المجتمع؟ لقد تعمّد الكاتب اختيار هذه الأسماء حتى يشوّه المعنى والمغزى النبيل لها في وجدان المجتمع وتصبح رمزًا للفسوق والرذيلة بعد أنْ..

هنا فوجئ محامي الاِدعاء بضربة قويّة بين كتفيه، وصوت عال خشن يقول:

- أتقول أنّ ابنتي رذيلة يا كلب؟

ضربة قوية حتى أنَّ محامي الاِدعاء انكفأ على المنضدة أمامه، اعتدل متوجعًا ونظر خلفه ليجد رجلًا من قوم عاد، وصوت القاضي يهتف:

- أنت، من أمرك بالقيام من مقعدك؟ عُد إلى مكانك.

الرجل الضخم الطويل العتل الزنيم:

- ألم تسمعه حضرة القاضي؟ أنَّه يقول أنَّ ابنتي فاسقة رذيلة.

وهو يتوجع، سأل محامي الاِدعاء:

- هل ابنتك اسمها (سوسو) ؟

حكّ الرجل صدره وخفض عينيه حياءً، قال وهو يبتسم:

- لا، اسمها (صهصهة).

قال محامي الاِدعاء مدهوشًا:

- صهصهة؟! أي اسم هذا؟

رفع الضخم الطويل العتل الزنيم رأسه إليه، وبغلظة وشراسة قال:

- أنَّه اسم من أسماء الأفعال، يا متعلم، يا مثقف، أنَّها ابنتي، واسميتها (صهصهة[3])، ليعلم الجميع أنَّها ابنة رجل، ابنة أفعال.

نظر إليه محامي الاِدعاء ولا يعلم ماذا يقول، وأنقذه القاضي بالقول:

- إنَّه لا يقصد ابنتك يا حاج، لا من قريب ولا من بعيد، أنَّه يتحدث عن أمر آخر، عد إلى مقعدك وإلَّا أمرت بإخراجك من قاعة المحكمة.

ابتلع الشرطي ريقه بصعوبة وهو يتخيل نفسه يحاول إخراج هذا الضخم الطويل العتل الزنيم من قاعة المحكمة، ولكن ذاك أراحه حين ألقى نظرة شرسة إلى محامي الاِدعاء وعاد إلى مقعده.

القاضي وهو يشبك يديه:

- السَيِّد (محمود)، محامي الاِدعاء، لقد اسميت ابني (محمودًا) لكي يكون محمودًا في أقواله وأفعاله، ولكنه خيبة أمل كبيرة، هل ترى أنَّني الملوم على ذلك؟

ابتسم محامي الاِدعاء، وهزَّ رأسه تواضعًا، قال:

---

[3] الصهصهة هي قول الرجل صه صه، صه هي اسم فعل أمر بمعنى اسكت، لا تسألني كيف علم ذاك الرجل بها؟

- حفظ الله ابنكم حضرة القاضي، أنَّني على يقين أنَّ ابنكم يبذل جهده كي يكون في مستوى طموحكم، كلَّا حضرة القاضي، أنت لست ملومًا، وكما أسلفت أنَّني لا أحمّل الإنسان تبعات اسمه، كما أنَّني لا ألوم من يقوم بالتسمية على خيبة أمله في مسعاه، ولكن في هذه الق...

قاطعه محامي الدفاع هاتفًا:

- حضرة القاضي، أنَّ زيارة إلى مركز شرطة أو استدعاء ضابط شرطة للشهادة، سنجد كم من نساء أسمائهن (خديجة) و(فاطمة) و(حفصة) قد امتهنن اللصوصية والرذيلة، وزيارة لجامعة أو مؤسسة من المؤسسات المهتمة بالمجتمع ستثبت بطلان أقوال محامي الاِدعاء، وسنجد كم من النساء الفُضْليات أسمائهن (سونيا) و(سوسو) و(لولو)، أنّ الفكرة التي يقوم عليها محامي الاِدعاء في النيل من موكِّلي، فكرة واهنة لا أساس لها ولا نصيب لها من الواقع والمنطق، بل تتهم كثيرًا من النساء الكريمات العفيفات بما ليس فيهن، حضرة القاضي هل تلوم لصة اسمها (خديجة) على اسمها ؟ على أنها لم تراعي طهارة الاسم الذي تحمله؟ هل تلوم من اسمها (سوسو) على التزام الفضيلة؟ على أنَّها لم تراعي ميوعة اسمها؟ حضرة القاضي أنّ كُلّ ما يقوله محامي الاِدعاء يمكن تلخيصه في كلمة واحدة، هي "الهُراء"، أطالب حضرة القاضي محامي الاِدعاء بالاعتذار لجميع النساء، وفي مقدمتهن من يحملن اسماء (سوسو) و(لولو) و(سونيا) و(صهصهة).

دوى في قاعة المحكمة صوت تصفيق وحيد، وصوت غليظ يهتف:

- يسلم لسانك، تحيا العدالة، اسمع ما يقوله الأستاذ القصير الأصلع حضرة القاضي.

أشار القاضي إلى الرجل الضخم الطويل العتل الزنيم، بأن يهدأ ويدع عنه ما يفعله.

أما محامي الاِدعاء فقال في مكر رصاصة تطرق الباب:

- رغم منطق محامي الدفاع، واعتراضي ورفضي لكلمة هُراء..

ورفع الرواية بكلتي يديه إلى محامي الدفاع، وأردف:

- حضرة القاضي المُبجل، يبدو أنَّ محامي الدفاع لم يقرأ العبارة على غلاف الرواية الأمامي في الطبعة الثانية، العبارة الأولى في أعلى الغلاف، العبارة التي تقول: "الرواية الأكثر مبيعًا في العقد الأخير"، هذه العبارة تثبت أن الرواية أصبحت إعلانًا عامًا، وأنّ الكثير من الناس اقتناها وقرأها، وهذا يثبت أنها تركت أثرًا في النفوس، أثرًا يمس دينهم وأفكارهم وثقافتهم حضرة القاضي، في رواية الكاتب لم يعد (فاطمة) اسمًا للبطلة، بل اسمًا للفجور والرذيلة، وكذلك اسم البطل (عمر)، هل بلغ عدالتكم غايتي ومرادي؟

هزّ القاضي رأسه استحسانًا أو شيئًا ما، قال:

- بلغني، بلغني يا فريد عصرك، بلغني، أطربني بما وراء ذلك.

محامي الدفاع وقد استطال يافوخه، وأوشك مخه على الخروج، في سعار قال:

- حضرة القاضي، محامي الادِعاء يجعل من رواية موكِّلي ندًا لدين المجتمع وأخلاقه، لو افترضنا أنَّها رواية خلاعيّة، فكيف لها أنْ تهدم قرونًا من الدين والأخلاق والثقافة المتأصلة في وجدان المجتمع، أنَّ محامي الاِدعاء يُظهر مجتمعنا كمجتمع سطحي ضحل في دينه وأخلاقه وثقافته، بحيث تحطّمه رواية يدَّعي أنها رواية خلاعيّة، حضرة القاضي أنَّ محامي الاِدعاء يسيء إلى المجتمع ودينه وأخلاقه وثقافته من حيث لا يدري.

رفع محامي الاِدعاء رُمحه ~ أعني ذراعه الأيمن مع فرد السبابة ~ إلى أعلى، أغمض عينيه، ووعظ:

- أوّل الغيث قطرة.. الجبال من الحصى.. القشّة التي قصمت ظهر البعير.. النار من أصغر الشرر..

وفتح عينيه ونظر إلى محامي الدفاع، وتابع:

- أفهمت مقصدي يا زميلي العزيز محامي الدفاع.

وأدار نظره إلى القاضي، واستمر:

- إنَّ رواية الكاتب (عطوة عطوة) الشهير بـ (عطعط) ليست ندًا لدين المجتمع وأخلاقه وثقافته، ولكنها قطرة قد تساهم في تكوين سيل عرم إن لم نمنعها، حصاة قد تصنع جبلًا إن لم نقذف بها بعيدًا، شرارة قد تشعل حريقًا، وما نقوم به الآن حضرة القاضي المُبجل هو إطفاء شعلة صغيرة قبل أنْ تصبح حريقًا يصعب إطفاءه.

أشار القاضي بيده كأنَّه يهدهد طفلًا رضيعًا، قال:

- مفهوم، واضح، مفهوم، التالي، هات التالي.

10- الفُصْحى

ابتسم محامي الاِدعاء في زهو وانتصار، وتصفح الرواية حتى بلغ مُراده، فقال:

- حضرة القاضي المُبجَّل.. والمُبجَّل أنت، أقرأ عليكم نصًا آخرًا من الرواية "تمشّى عمر وفاطمة بدون كلام، يفكرو في حالهم وحبهم، وياكلوا الترمس، حتى وصلو محطة القطار، التفت عمر الى فاطمة ونطق باللي في باله: حشتاقلك يا فطفط، مش عارف حعمل إيه لحد منلتقي يوم الحد الجاي"

وتوقف محامي الاِدعاء عن القراءة، ورفع رأسه، ألقى الرواية بلا اهتمام على المنضدة الطويلة أمامه، قال:

- أتوقف هنا حضرة القاضي المُبجّل، لا شك لديّ أنَّ الفكرة قد بلغتكم واضحة، لغة عامِّيّة.. لغة ركيكة.. أخطاء نحوية.. أخطاء لغوية.. لقد شنَّ هذا الكاتب حربًا شعواء على اللغة العربية، يهدف إلى تحريفها وتغريبها، وجعل العامّيّة هي لغة الكتابة والفكر والثقافة، يريد تمزيق بلدنا إلى دويلات مساحة كُلّ منها شارع، ولكل منهم لغته، يريد محونا من الوجود، لا يكفيه كبوتنا الحاضرة، بل يريد محو كُلّ أثر لنا في الحياة، ألا يعلم الكاتب أنَّ الأمم لغات وألسن؟ ألا يعلم الكاتب أنَّ عظمة الأمة تعبر عنها لغتها ومفرداتها ؟ ألا يعلم الكاتب أنَّ ثراء اللغة بمفرداتها ومعانيها وتراكيبها يأتي من إيغالها في التاريخ والأمم والحضارات؟ ألا يعلم الكاتب أنَّ نهوض

الأمم يبدأ بالاهتمام بلغتها وصيانتها وحمايتها من التغريب والتحريف؟ ألا يعلم الكاتب أنَّ الإبداع يأتي من سلامة التفكير، وسلامة التفكير تأتي من سلامة التعبير وسلامة التعبير تأتي من اللغة، من دقة المفردات والمعاني؟ ألا يعلم الكاتب أنَّ ما يربط حاضرنا بماضينا، ويربط الأخلاف بالأسلاف، والهمم بالأمجاد هي اللغة؟ ألا يعلم الكاتب أنَّه إذا أراد إفناء أمة فعليه نفي الحاجة إلى لغتها؟ هل بلغ علم الكاتب أنَّ العدو إذا دخل بلدًا فأوّل ما يستهدفه بعد قتل أهل الدين والعلم هو اللغة؟ ألا، ألا، ألا، ألا، حضرة القاضي المُبجَّل.. والمُبجَّل أنت، لديَّ جبالًا من (ألا)، ولا أظنّ أنَّ زميلي محامي الدفاع يملك لها إجابة.

وثب محامي الدفاع عن مقعده، صاح:

- حضرة القاضي، أقول لمحامي الاِدعاء بأنني أملك إجابة شاملة كافية وافية لكل هذه الـ (ألا).

ويبدو أنَّه قد أصابته العدوى من محامي الاِدعاء، فترك مكانه وتقدَّم إلى الفسحة الصغيرة بين منصة القاضي ومقاعد الحضور، نظر إلى سقف قاعة المحكمة، ألصق كفيه معًا، قال:

- لقد كتب موكِّلي روايته باللغة العامِّيّة، وماذا في هذا؟ نعم، ماذا في هذا؟ أليست الفُصْحى هي عامِّيّة العرب قديمًا؟ نعم حضرة القاضي، أليست العربية الفُصْحى التي تحدَّث بها العرب قديمًا كانت لغتهم اليومية والدارجة ويتحدَّث بها عامة العرب، فلماذا استخدام عامِّيّة العرب القديمة فضيلة، واستخدام عامِّيّتنا ولغتنا الدارجة الآن جريمة؟ لقد غاب عن محامي الاِدعاء

أمر في غاية الأهمية، هو دخول مئات الكلمات الأعجمية على اللغة العربية عبر التاريخ، لماذا رُضي بهذا من أهل اللغة والمعاجم وسُميّ هذا "إثراءً للغة"، لماذا لم يرفضوه؟ لماذا لم يسموه تغريبًا للغة وتحريفًا لها؟ لماذا حضرة القاضي؟ حضرة القاضي أنَّني أرى في اِدعاء محامي الاِدعاء جانبًا لا يمت للعدالة والقضيَّة بصلة، جانبًا شخصيًّا، أنَّني اتّهم محامي الاِدعاء باستخدام رواية موكِّلي للنَّيْل منه والحط من قدره.

أراد محامي الاِدعاء الحديث، ولكن إشارة زاجرة من يد القاضي أعادته إلى مقعده، وشبَّك القاضي يديه ونظر إلى محامي الدفاع، بهدوء قال:

- لماذا نستخدم عامِّيّة العرب قديمًا وليس عامِّيّتنا الدارجة ؟ لأنَّ عامِّيّة العرب جاءت من التاريخ العميق الممتد إلى آدم عليه السلام، تاريخ جعلها أم اللغات ومنها أُشتقت اللغات الأخرى، جاءت من فخر العرب واعتزازهم بلغتهم، حتى أنَّهم يخالطون الأعاجم وغيرهم ويحدثونهم بلغاتهم، فإذا عادوا إلى مجتمعاتهم لم يتحدثوا غير العربية، ويعيبون من يستخدم سواها في مجتمعاتهم، جاءت عامِّيّة العرب من مجتمع مغلق تمامًا على لغته، بل يراها فخر يتباهى به كما يتباهى الناس بأشيائهم النادرة الثمينة، ويرفض أنْ تُلوَّث بسواها، ولم يقبل الغريب والأعجمي فيها إلّا لغرابة وعجمية المُسمى، جاءت عامِّيّة العرب من ألسنة لها عقول، حتى أنَّك تجد - على كثرة مفرداتها وغزارة تراكيبها ووفرة مشتقاتها- لها قواعد محددة سهلة بسيطة تربط كُلّ هذا الخِضَم معًا، حتى أشعارها لها بحور معروفة وضوابط محددة تجمعها، نستخدمها لأنَّها موغلة في التاريخ رغم اختلاف رسم

حروفها عبر العصور، رغم إنكار من يسمون أنفسهم بـ (علماء الآثار) لآثارها بحجة اختلاف الرسم، نستخدمها لأنَّها تربط حاضرنا بماضينا إلى آدم عليه السلام إلى رب العالمين، بها نقرأ كتاب الله وأحاديث نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ومنها نعرف من نحن؟ ماذا نفعل؟ من أين جئنا؟ إلى أين نذهب؟ عامِّيّة تجمعنا دون وسيط من الأحواز شرقًا إلى المغرب غربًا، ومن جنوب الأناضول شمالًا إلى جزر القمر جنوبًا، وتجمعنا بكل من يهتم بديننا وحضارتنا في كُلّ أرجاء الدنيا، أتقارن هذا..

وابتسم مستهزئًا، وأكمل:

- أتقارن هذا كله بالعامِّيّة الدارجة الآن! عامِّيّة لا يحميها أهلها من أحمق يذهب إلى بلاد الشرق أوالغرب، ولم يرجع إلَّا بخيبة يُخفيها بالتشدق بكلمات غريبة يداري بها خيبته؟ عامِّيّة تقبل الغثّ قبل السمين بدون قيود لا ضوابط، عامِّيّة عاجزة أن تربطنا نحن أهل القطر الواحد ببعضنا فنحتاج وسيط بيننا في بعض القُرى والمحافظات، عاجزة أن تربطنا بديننا، بحضارتنا، بتاريخنا، بحاضرنا، بماضينا، بأهلنا وأقاربنا في الشارع المجاور، عامِّيّة بلا ماض، بلا تاريخ، بلا حضارة، بلا مستقبل، عامِّيّة لا تهم سوى ناطقها فقط في نطاق محدود لا يهم سواه، عامِّيّة يحبها عدونا ليجعلنا شظايا، فيصير الشارع الصغير دولة مستقلة وعالمًا مختلفًا عن ما نعرفه، ورُبَّما نحتاج إلى جواز سفر للمرور فيه، عامِّيّة تفرّقنا نحن أصحاب اللغة الواحدة، الدين الواحد، التاريخ الواحد، الحضارة الواحدة، بل تفرّق الأسرة الواحدة.

مدهوشًا.. مغتاظًا.. سأل محامي الدفاع:

- الأسرة الواحدة؟ كيف حضرة القاضي ؟

القاضي:

- هل لك قريب أو صديق في محافظة أخرى قال قولًا بعامِّيّة تلك المحافظة لم تفهمه؟

بحذر عصفور يعطيه الفخ مُبتسمًا دُودة، أجاب محامي الدفاع:

- نعم، حضرة القاضي.

مال القاضي إليه، وقال:

- وهذا أوّل الغيث.

والتفت إلى محامي الاِدعاء، قال:

- أكمل واختصر.

* * *

11- نجوى وكريمة وأُم العِزِّ

عاد محامي الدفاع إلى مقعده عصفورًا بلَّه المطر، أمّا الآخر.. مبتسمًا ~ والحقُّ يُقال أنَّني أشعر بإشفاق لا أعلم سببه على محامي الاِدعاء ~ تناول محامي الاِدعاء الرواية من أمامه، مرة أخرى تصفَّحها، حتى وصل صفحة بعينها، رفع رأسه، نظر إلى القاضي، تكلم:

- حضرة القاضي المُبجَّل.. والمُبجَّل أنت، الآن أصل بكم إلى ختام مرافعتي بذكر الجزء الأهم منها، الجزء الذي احتفظت به للنهاية، لأبني لعدالتكم صورة واضحة عن الكاتب وغرضه، حتى لا ينتابكم شك في دعواي، أرجو من عدالة المحكمة الغفران، فما سأقرأه الآن لا يليق بمقام وهيبة هذا المكان، ويخدش حياء الحضور، ولكن لا بد من ذكره لأنَّه لب القضيَّة وأساس هذه الدعوة، وهو نشر الفسوق والرذيلة، فأرجو من عدالتكم السماح لي بقراءة النص من الرواية.

أومأ له القاضي برأسه موافقًا، فشرع محامي الاِدعاء يقرأ، واعتذر هنا للقارئ عن نقل كلام محامي الاِدعاء، وسنعرف لماذا بعد قليل.

فرغ محامي الاِدعاء من القراءة، ليثب محامي الدفاع عن مقعده، وصاح:

- حضرة القاضي لا أرى في ما قرأه محامي الاِدعاء ما يشين، ويسيء لأخلاق وثقافة المجتمع، النص يخلو تمامًا من الخلاعة والكلمات النابية.

نظر القاضي من تحت حاجبيه إلى محامي الاِدعاء، قال:

- هذا صحيح.

كأنَّما يؤدي النشيد الوطني في مملكة الخِراف البيضاء، وضع محامي الادِعاء يمينه على قلبه، رفع رأسه لأعلى مغمض العينين ~ أتمنى لو أعلم ماذا في سقف المحكمة؟ الجميع يرفع رأسه إليه!~

بصوت تتعالى نبرته رويدًا رويدًا، قال:

- يا للخبث.. يا للمكر.. يا للدهاء..

وفتح عينيه وأدار وجهه إلى الكتلة المُسماة بالكاتب، وأشار بسبابته:

- ليت الكاتب كتب نصًا ماجنًا.. ليت الكاتب وصف مشهدًا حميمًا بين البطل والبطلة.. ليت الكاتب أوضح تفاصيل كيف يأتي الرجل زوجته لبطليه.. ليت الكاتب استخدم كلمات نابِية.. ليت، ليت، ليت، ليت..

وسكت.. هزّ سبابته كأنَّه يتأكد من غرسها في طيف الكاتب في خياله، بغضب.. بغيظ.. صاح:

- لقد قرأت لحضرة القاضي المُبجَّل، للحضور الكرام، ما كتبه هذا الكاتب، لقد كتب هذا منهجًا.. أسلوبًا.. طريقةً.. للنيل من عِفَّة المرأة.. للوصول إلى ما يريد منها.. إلى أشرف ما فيها.. إلى أثمن ما عندها.. إلى أطهر ما تملك.. خطوات تفصيلية لتأخذ من المرأة ما تملك.. بل كُلّ ما تملك..

- ماذا تقصد يا أستاذ؟ ما هو أشرف وأثمن وأطهر ما تملكه المرأة؟

نظر الجميع إلى من قاطعت حديث محامي الادِعاء، فإذا هي المرأة العَركْركَة وقد وقفت شامخة بين الحضور كجبل قاف بين الجبال، نظر

محامي الاِدعاء إليها نظرة خبث، ابتسامة ذئب أقنع نعجة أنهما ذاهبان لصلاة الفجر، قال:

- السَّيِّدة الفاضلة، لا شَّك لديّ بأنّك تعلمين مقصدي، وما يحاول المنهج الخبيث الوصول إليه، المنهج الذي وضعه هذا الكاتب ليكون دليلًا لكل وضيع في كيفية النيل من المرأة.

قرنت حاجبيها، وتساءلت:

- يريد الوصول إلى (نجوى) و(كريمة) ؟

أدار محامي الاِدعاء رأسه يمنة ويسرة عدة مرات، أجاب:

- كلّا أيُّتها السَّيِّدة الفاضلة، لا (نجوى) ولا (كريمة).

قرنت حاجبيها أكثر، وبيمينها أمسكت طرف ذقنها، وسبحت عيناها في سماء قاعة المحكمة وبتفكير عميق، تساءلت:

- يريد الوصول إلى عين الغزال؟

مرَّة أخرى أدار محامي الاِدعاء رأسه يمنة ويسرة عدة مرات، وأجاب:

- كلّا أيُّتها السَّيِّدة الفاضلة، لا يريد الوصول إلى عين الغزال.

تركت المرأة العَركْركَة هيئتها، وضربت صدرها بكفها في لوعة، صاحت:

- يريد الوصول إلى (أُم العِزِّ) ؟

رفع محامي الاِدعاء ذراعيه معًا نحو المرأة، مشيرًا لها بسبابتيه، وهو يصيح:

- يريد الوصول إلى (أُم العِزِّ) أيُّتها السَّيِّدة الفاضلة، يريد الوصول إلى (أُم العِزِّ)..

رفعت المرأة العَركْركَة ذراعيها عاليًا، وولولت:

- يا فضيحتاه، يا فضيحتاه..

وسقطت فاقدة الوعي فوق الحاضر إلى يمينها، وجلجلت قاعة المحكمة بأصوات الحضور، وعادت مطرقة القاضي تطرق من جديد، وقام بعض الحضور يحاولون سحب وإنقاذ ما بقي من الرجل من تحت المرأة، وبعض النسوة تحاول إفاقة المرأة العَركْركَة.

- أنت، تعال هنا.

هُرع محامي الاِدعاء إلى مِنصَّة القاضي، الذي مال نحوه وبهتاف هامس سأل:

- ما هذا الهُراء ؟ من هاتان (نجوى) و(كريمة) ؟ من عين الغزال؟ من (أُم العِزّ) هذه؟

بصوت للهمس أقرب، أجابه محامي الاِدعاء والخبث في عينيه ويسيل من أشداقه:

- لقد استخدمنا التورية احترامًا لعدالتكم وحرمة المكان، ومراعاة لمشاعر الحضور.

بعصبية سأله القاضي:

- أريد أن أعرف، من هاتان (نجوى) و(كريمة)؟

بخبث وضع محامي الاِدعاء كفيه على جانبي صدره، قال:

- نجوى وكريمة حضرة القاضي، (نجوى)..و.. (كريمة).. نجوى لك.. كريمة لابنك..

أغمض القاضي عينيه بقوة، هزَّ رأسه في فهم، قال:

- مفهوم، مفهوم، لا داعي للتوضيح أكثر من ذلك، عد إلى مكانك.

مزهوًا بنفسه عاد محامي الادعاء إلى مكانه، نظر إلى القاضي.. قال:

- حضرة القاضي المُبجَّل.. والمُبجَّل أنت، أُنهي مرافعتي واختتم دعواي بالمطالبة بسحب الرواية من الأسواق، وإنزال أشد العقاب بالكاتب ومحاسبة كُلّ من ساهم معه بنشر المجون والرذيلة في المجتمع، ليكونوا عبرة لكل من تسول له نفسه إفساد المجتمع والعبث بدينه وأخلاقه ورموزه، وتعويض كُلّ من أصابه أذى معنوي أو مادي جرَّاء نشر هذه الرواية الخليعة.

علا صوت محامي الدفاع يقول:

- حضرة القاضي، كما هي عادة محامي الاِدعاء في خلط الأمور، وإضافة معاني أخرى لأمور بريئة، وتأويل نص الرواية على أكثر من وجه، يختار محامي الاِدعاء الوجه الذي يسيء إلى موكلي، واستخدام رموز وتلميحات لا يفهم مغزاها سوى محامي الاِدعاء على الجانب الذي يخدم هدفه، وهو النَيْل من موكِّلي، رموز وتلميحات لا تأخذ بها العدالة، العدالة التي تأخذ بالمنطق والأدلة والبراهين فقط، وليس الأوهام والتأويلات، لذلك أطلب من عدالتكم رفض الغاية التي يدفع محامي الاِدعاء باتجاهها، واطلب تبرئة موكِّلي من كُلّ ما نُسب إليه، وتعويضه عن الأذى النفسي والمادي الذي أصابه من اتهامه بما ليس فيه.

*** * ***

12- الحُكْم

نظر القاضي إلى محامي الدفاع ونقل نظره إلى محامي الاِدعاء وأطال الصمت، ثم تكلّم فنطق بالديباجة المُعتادة حتى وصل إلى الحكم..

- وعليه فقد قررت المحكمة سحب الرواية من الأسواق مع السماح بإعادة نشرها بعد قيام الكاتب والناشر بإجراء التعديلات والتغييرات التي تراعي ما ذكره محامي الاِدعاء وضرورة احترام دين المجتمع ولغته وأخلاقه وثقافته وأخذها بعين الاعتبار، وتحذير الكاتب والناشر من تكرار هذا الأمر.

التهبت قاعة المحكمة بالتصفيق لحكم القاضي، الكل فرح وسعيد بانتهاء هذه القضية، التي لا يُعرف لها رأس من قدمين ولا وجه من ظهر، لقد آن لها أن تذهب بلا عودة، وبذهابها يقترب وقت النداء على قضيته، وارتسم الوجوم على وجه محامي الدفاع وموكله، وعلت وجه محامي الاِدعاء ابتسامة عريضة، وبانت الثقة عليه، فالفوز محسوم منذ البداية بفضل عبقريته ومرافعته العظيمة، والقاضي يطرق بمطرقته ويتابع:

- كما قضت المحكمة حبس محامي الاِدعاء شهرًا كاملًا في سجن (السلحفاة) لعدم احترام المحكمة والاستهزاء بالقاضي..

غاضت الابتسامة من وجه محامي الاِدعاء، وبُهت وجمد لثانية، ثم انطلق ركضًا إلى منصة القاضي، وهتف:

- سَيِّدي القاضي، أنت خير من يعلم أنّني لم استهزئ بالمحكمة أو القاضي، بل لا أجرؤ على ذلك.

نظر إليه القاضي، وبتشف قال:

- سَيِّدي القاضي.. القاضي سَيِّدي، حضرة القاضي المُبجَّل.. والمُبجَّل أنت، ماذا تُسمي هذا؟ احترام زائد!

بهلع هتف محامي الاِدعاء:

- خطأ في التعبير، عدم التوفيق في تركيب الجمل.

تجاهله القاضي وأكمل كأنَّ لا أحد أمامه:

- كما قضت المحكمة حبس محامي الاِدعاء شهرًا كاملًا آخرًا في سجن (السلوك القويم) لإضاعة وقت المحكمة وعدم مراعاة مصالح الآخرين.

أمسك محامي الاِدعاء بحافة منصة القاضي، وفي ذعر هتف:

- سَيِّدي القاضي، أبي، أنا ابنك (محمود)، أنا (حمّو)، أنا (حوحو).

نظر القاضي إليه، قال:

- نصحتك أن تترك القضية، وأنَّني سأكتفي بكتاب تحذير وتنبيه للكاتب والناشر، لكنك أصررت على رأيك وقلت أنت إنها قضيَّة العصر، التي ستجعلك شهيرًا، ولقد صدقت، ستصير شهيرًا، ستكون المحامي الذي حبسه أبوه القاضي، وسأصير أنا شهيرًا، فأنا القاضي الذي لا تأخذه في الحق لومة لائم، القاضي الذي أمر بحبس ابنه لأجل الحق والعدالة.

وتجاهل ابنه مرة أخرى وتابع:

- كما قضت المحكمة حبس محامي الاِدعاء شهرًا كاملًا آخرًا في سجن (السلوك القويم) لإعطاء أسماء وأشياء معان ورموزًا تحطُّ من قدرها، وتساهم في نشر السطحية والابتذال في المجتمع.

وعاد ينظر إلى ابنه، أكمل بعد خفت صوته:

- (سوسو) و(لولو) و(نجوى) و(كريمة)، زوجتي أنا ليست نموذجًا محمودًا يا سافل.

بذعر.. بفزع.. هتف ابنه:

- زوجتك هي أمي يا حضرة القاضي، يا أبي، كيف أُسيء إلى أمي؟! وأمي اسمها (سلوى)، أم أنَّك متزوج من أخرى؟!

القاضي بتشف:

- اسمها (سلوى) وأناديها (سوسو).

ابنه:

- والله لا أعلم يا حضرة القاضي، يا أبي، لم أسمعك يومًا تنادي أمي بـ (سوسو).

بغضب قال القاضي:

- يا قليل الأدب، هل تريد مني أن أدعوك إلى حجرة نومي حتى تسمعني ماذا أناديها؟!، ثمّ بأي حق جعلت (المُهَلَّبيَّة) هي (نجوى وكريمة) ؟ من سمح لك بذلك؟

بهلع رد ابنه:

- لتكن (مُهَلَّبيَّة) وما تشاء أنت، ولكن لا تحبسني، أنا بنك، أنا (حمّو)، أنا حبيبك، أنا بن (سوسو).

رفعَ القاضي سبابته، بصرامة مخيفة قال:

- كل كلمة تنطق بها سأجعل أمامها شهرًا في السجن.

وخرس محامي الاِدعاء، ولم ينبس ببنت شفة، والقاضي يكمل حكمه.. ويكمل..

تمت بحمد الله

إن شاء الله
الرواية التالية

الكتلة السوداء

لا يزال في العالم متسعاً لمجذوب آخر.. صحيح أنَّ عالمنا كُلّه في حاضرنا أصبح مستشفى للمجاذيب.. ولكنْ مجذوبنا هذه المرَّة يختلف.. أنت تعلم.. والجميع يعلم.. إن المرأة تنكح لأربع.. لحسبها.. أو لجمالِها.. أو مالها.. أو دينها.. فاظفر بذات الدين تربت يداك.. وتعشق لعِلة لا يعلمها إلا اللّه.. رأيت في هذه الدنيا العجبَ العجاب.. رأيت من يعجب بالممثِلات ويضرب زوجته أو يطلقها لأنَّها أساءت لتلك الممثلة.. رأيت عاشقا للمرأة "شِيفا" التي أشبه بالوحش في لعبة الفيديو "الصراع المميت".. رأيت من جعل لنفسه محبوبة من خياله وعاش مخلصا لها.. بغض النظر عن الأمثلة الكثيرة.. في النهاية تجد حبا قابل للتفسير وإن كان شاذا أو غريبا.. ولكن هنا.. مجذوبنا يعشق محبوبته ولا يعلم عنها شيئا.. حين أقول لك "إنني أحب السمدراويانا".. يجب أن يكون لديك فكرة عن "السمدراويانا" كي تتخذ موقفا ما منها.. فإذا كنت أنا نفسي من اخترعت هذه الكلمة ولا أعرف شيئا عنها.. فما بالك أنت؟!.. ذلك المجذوب.. لم يرها.. لم يسمعها.. لقد كانت مجرد كتلة.. كتلة سوداء.. بلا ملامح.. بلا علامات تميزها.. جميلة أم قبيحة؟.. بيضاء أم سمراء؟.. طويلة أم قصيرة؟.. سمينة أم نحيفة؟.. لا يعلم عنها شيئا!.. حسنا، هل هي...؟ الحمد للّه.. الحمد للّه.. والمؤسف في الأمر أن القصة مستوحاة من حادثة حقيقية..

▪️ ◾ ⬛ ⬅️ للكاتب إبراهيم محمد ➡️ ⬛ ◾ ▪️

الغَيْهَبُ

حين تغْشى الخُرافة الحقيقة
ويصير الواقع ضربًا من الخيال

1 - بدايات مُخِيفة
2 - النور والظلام
3 - العَهْد الجديد (بمشيئة الله في المستقبل القريب)

الرِحْلة

رِحْلة إلى حدود العالَم.. لمعرفة الحقيقة
وإجابة سؤال.. أكروية هي أم مسطحة

1 - الرحيل ج1
2 - القصَّابون ج2
3 - وادي الصمت ج1 (بمشيئة الله في المستقبل القريب)
4 - الرَاهِب ج2

عالم جديد

عالم ينهض من رماد حرب طاحنة
يبني حاضره.. وينظر مستقبله

1 - النهوض
2 - العودة إلى الصفر (بمشيئة الله قريبًا)
3 - أوار الماضي
4 - العائدون ج1
5 - طلائع الشرِّ ج2

البُسْتان

روايات تبحث لها عن ملجأ

1 - رواية خلاعيَّة
2 - الكتلة السوداء
3 - مملكة الأحزان (بمشيئة الله في المستقبل القريب)
4 - الله والشيخ والشيطان وأنا
5 - طريق الخُلُود
6 - ثلاثون من المائة
7 - ألف ألف إله
8 - فجوة في جدار المُستقبل

الفُنْدُق

قضايا وتحقيقات

1 - جميلة الجميلات
2 - بِيعَ (بمشيئة الله في المستقبل القريب)
3 - خصوصية
4 - جُثَّة لا تحب القبور
5 - ساعة تُنادي النهاية

ما وراء النهاية

مع كل نهاية بداية جديدة

1 - كنوز الملك سليمان
2 - الرجل الخفي (بمشيئة الله في المستقبل القريب)
3 - رحلة إلى مركز الأرض
4 - جزيرة الكنز

ترجماتي

الأدب بقلمي

1 - نهاية النهر (بمشيئة الله في المستقبل القريب)

 Wordsonsnowtablet@gmail.com
 Wordsonsnowtablet



البُسْتان 1

روايات تبحث لها عن ملجأ

صفحة



إبراهيم محمد